بحث محكم | قسم الدراسات الدينية | 8 فبراير 2021

النّبوّة والنّظم المعرفيّة في النصوص المقدّسة
(الكتاب المقدّس أنموذجا)
قراءةٌ في سلطة الواقع السياسي والاجتماعي

محمد يوسف إدريس
باحث تونسي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2021
All rights reserved © 2021

تمهيد

إنّ السؤال عن ماهية النّبوّة في «الكتاب المقدّس» مبحث لا يتسنى الإلمام بأبعاده ما لم نقف على علاقة النبوّة بسائر النظم المعرفية السائدة آنذاك، فالمتأمّل في «العهد القديم» و«العهد الجديد»، يتبيّن له وجود جوامع بين النّبي ومُمثّلي النّظم المعرفيّة الأخرى (العِرافة، السحر، الكهانة) في مستوى طرائق التعبير.

واللافت للانتباه أنّ تلك النّظم المعرفيّة في صلتها بالنّبوّة، لم تحمل الدّلالات نفسها في العهدين، من ذلك أنّ علاقة النّبوّة بالكهانة في «العهد الجديد»، اختلفت اختلافا بيّنا عمّا هي عليه في «العهد القديم».

إنّ هذا الاختلاف يتطلّب منّا الوقوف على ماهيّة النّظم المعرفيّة المذكورة في «الكتاب المقدّس» وتبيّن خصائصها ووجوه التّقارب بينها وبين مؤسّسة النّبوّة، وتحديد الخلفيّات الّتي ساهمت في تشكّلها، وتحديد تأثير الفضاءات الثّقافيّة الّتي نشأت فيها؛ ذلك أنّ صورة النّبيّ لم تتّخذ في العهدين هيئة واحدة، ولم تقتصر على البعد الديني، بل طالت أبعادا أخرى أهمّها السّياسي والاجتماعي.

وفي هذا البحث، نقف على هذه الأبعاد ودلالاتها بالنظر في علاقة النّبوّة بالمُؤسّسات المعرفيّة المذكورة في كل نص، وقد وزّعنا البحث إلى عنصرين؛ نخصص الأول للنظر في ماهية النبوة والنظم المعرفية الرسمية (الكاهنة) وغير الرسمية (السحر) في «العهد القديم». أما الثاني، فندرس فيه علاقة النّبي بأرباب المُؤسسات المعرفية المذكورة في «العهد الجديد».

وفي هذين العنصرين نسعى إلى تبيّن الخصائص الّتي حظي بها النّبي، وما كان له من دور في تحديد ماهيّة النّبوّة الّتي كُلّف بها.

النّبوّة والنّظم المعرفيّة في العهد القديم

إنّ بني إسرائيل لم يكونوا بمعزل عن السائد ثقافيا ودينيا في المجتمعات المجاورة لهم؛ ففي أسفار عديدة من «العهد القديم» إشارات إلى انتشار قيم الآخر ومعتقداته بين اليهود، فلقد عَبَدَ بنو إسرائيل أكثر من مرة آلهة الآخر، إذ قدّموا القرابين إلى بعل ورِمُّونَ[1]، واستعانوا في حياتهم الاجتماعية والدينية بأرباب نظم معرفية (السّحر، العِرافة) سادت في أصقاع الشّرق القديم، وآية ذلك أنّ السحرة والعرافين والمُنجّمين قد

1 2 1ملوك 5/14-18

نالوا الاحترام والتقدير من الجماعة اليهوديّة، ففي أغلب الأحيان كان النّاس البسطاء والملوك يهرعون إليهم يُناشدونهم مطالعة الغيب وإخبارهم بالآتي خيره وشرّه في الحرب والسلم.

وفي هذا السياق، روى «العهد القديم» أخبارا عديدة فضّل فيها الملوك الاستعانة بالعرافين على الأنبياء؛ فانتشار العرافة والتنجيم عُدّ عائقا أمام تحقيق الأنبياء مشاريعهم الإصلاحيّة الاجتماعيّة والسّياسيّة والدّينيّة.

انطلاقا من هذا المعطى، يمكن القول إنّ مواقف الأنبياء من القائمين على النّظم المعرفية الأخرى قد تأثّرت بعاملين مهمّين؛ وهما سلطة الواقع السياسي والاجتماعي من جهة، ومن جهة أخرى سلطة الواقع المعرفي؛ ففي ما يتعلق بمواقف الأنبياء من الواقع السياسي والاجتماعي احتوت أسفار «العهد القديم» مواقف اتّخذها الأنبياء من الملوك؛ فمنهم من وَاجه الملوك (إيليا، عاموس) تعبيرا عن رفضه لممارسات أصحاب السلطان، وما يترتب عليها من حيف طال شرائح مختلفة من اليهود، وفي المقابل انخرط بعض الأنبياء (إرميا، ...) في تحالفات سياسية. أمّا فيما يتصل بتأثّر الأنبياء بالسائد ثقافيا ومعرفيا، فأغلب مُدوّني «العهد القديم» أكّدوا صدق الأنبياء فيما أخبروا به مقابل كذب غيرهم من أرباب الأنظمة المعرفية الأخرى -باستثناء الكهّان-.

1: النّبوّة والنّظم المعرفيّة الرّسميّة

اكتسبت النّبوّة في العقيدة اليهودية مع موسى دلالات ميزتها عن بقية النظم المعرفية السائدة آنذاك، فنحن إذا ما تصفّحنا المواضع التوراتية الّتي ذُكر فيها اسم «النّبيّ» נָבִיא ألفيناها قليلة العدد، على النحو الآتي:

السفر	عدد المواضع	الآيات	المقصود بالنّبي
التكوين	1	7/20	إبراهيم
الخروج	2	1/7 و20/15	هارون وأخته مريم
العدد	2	29/11 و6/12	الأنبياء الكذّابون.
التثنية	10	1/13، 3، 5و15/18، 18، 20 (مرتان)، 22 (مرتان) و10/34	الأنبياء الكذّابون، موسى.

ثبت بالمواضع التوراتية التي ذُكر فيها اسم النّبي

إنّ المتأمّل في تلك المواضع، ينتهي إلى أنّ اسم «النبي» وُظّف في أغلبها المواضع للإشارة إلى الأنبياء الكذّابين، أو للإشارة إلى موسى وهارون.

وفي هذا المجال، نُذكّر بأنّ الحديث عن النّبوة الموسوية في «العهد القديم» قد تزامن مع ظهور مؤسسة الكهانة مُمثلة في هارون، ومن شأن هذا الأمر أنْ يُثير أسئلة عديدة حول صلة مُؤسسة الكهانة بمُؤسسة النّبوّة، فهارون وُسم في «العهد القديم» بالنّبي حينا، وبالكاهن حيناآخر.[2]

ولا يفوتنا في هذا المقام، الإشارة إلى أنّ الأسفار التوراتية سَمَّت هارون نبيّا بنسبته إلى موسى، ففي الآية الأولى من الإصحاح السابع من «سفر الخروج» قالَ الرب الإله «لِمُوسَى: أُنْظُرْ! أَنَا جَعَلْتُكَ إِلَهاً لِفِرْعَوْنَ، وَهَارُونُ أَخُوكَ يَكُونُ نَبِيَّكَ».

أ: الكاهن

مثّل الكاهن [כֹּהֵן كُوهين] سلطة اجتماعيّة ودينيّة؛ ذلك أنّ الكُهّان تمّ اصطفاؤهم من الرّبّ الإله شأنهم في ذلك شأن الأنبياء؛ ففي صحراء سيناء اختار الرب الإله هارون وسبطه لهذه المهمّة، على أنّ الفصل بين الكهانة والنّبوّة لم يقع إلا في مرحلة متأخرة من تاريخ نشأة جماعة بني إسرائيل، إذ ذكرت بعض الأسفار أنّ هاتين المؤسستين قد تعايشتا جنبا إلى جنب، ففي أحيان كثيرة لا نكاد نميّز بين النبي والكاهن؛ وذلك بسبب تداخل المهام، إذ نهض القائمون على إحداهما بمهمّات منوطة بأصحاب المُؤسّسة الأخرى، ولاسيما في الفترات التي ارتبطت فيها هاتان المؤسستان بالمُؤسّسة السّياسيّة.[3]

إنّ مُؤسّستي الكهانة والنّبوّة عرفتا تغيّرات عديدة، ففي ما يتعلق بالأولى شهد دور الكاهن تحولا رئيسا فلم يعد خيط الرّحم الّذي يصل بين الرّبّ الإله واليهود فحسب، وإنّما نهض أيضا بأدوار مختلفة عن مهامه الأولى؛ وذلك باختلاف الأزمنة، فبعد أنْ كان المُشرف على تقديم الكفّارة، والموضّح لمضامين وصايا الرّبّ والمُبيّن لطرق أداء مختلف الطّقوس التعبدية، [4] أصبح حارس تابوت «الرّبّ الإله»[5]، فهو الطّرف الوحيد المسموح له بدخول قدس الأقداس[6]، وذلك بداية من لحظة تَكوّن الدّولة، وقد مثّل الهيكل الفضاء الرّئيس

2 العدد6/3 والخروج 1/7 والخروج 1/28

3 أنظر على سبيل المثال الإصحاحين الأوّل والثاني من سفر الملوك الأوّل.

4 أنظر الإصحاح 1 و2 و6 من سفر صموئيل الأوّل وأنظر كذلك الأصحاحين 16 و25 من1 أخبار الملوك.

5 1 صموئيل4/4.

6 ولاسيما في يوم الكفّارة Kippour.

الّذي احتضن العمل الكهنوتي وممارسة الشعائر الدّينيّة الّتي سهر الكهّان على سلامتها[7]، وفي هذا المستوى لاحظنا أنّ العديد من الأنبياء شاركوا الكهّانَ الهيكلَ، ومارسوا أنشطتهم النبويّة فيه على مرأى من الكُهّان، وقد خصّ مُؤرّخو اليهوديّة هؤلاء الأنبياء بتسمية خاصة، وهي «أنبياء الهيكل».[8]

وقد بلغ التّقارب بين هاتين المُؤسّستين -في فترات متباعدة من اليهودية- درجة يعسر فيها التّمييز بين أنبياء بني إسرائيل وكهّانهم، من ذلك أنّ «العهد القديم» أشار إلى أنّ النّبي عزرا كان في الأصل كاهنا.[9]

يضاف إلى ما تقدّم ذكره، اشتراك هاتين المُؤسّستين في مستوى الخصائص وطرائق التّواصل بين البشر والرّبّ الإله، إذ ذهب أنيس صايغ في مقال «نبي» ضمن «قاموس الكتاب المقدّس» إلى أنّ «الكَهنة [كانوا] يقومون بالنّبوّة بطرق مختلفة.»[10] ولا غرابة في ذلك، فـ «وظيفته[الكاهن] كانت التّقرّب إلى الله بالنّيابة عن الشّعب»[11]، وقد كان الكاهن يستشير الله بواسطة التمائم.[12]

إنّ التشابه بين هاتين المؤسستين كان سببا في احتجاب الأنبياء في فترة ما بعد العودة من السبي، وقد تزامن ذلك في تقدير عبد الوهّاب المسيري (ت 2009م) مع انتشار الشّريعة الشّفويّة «التّلمود»[13]، وقد يكون الأمر كذلك، إذا ما تفطّنا إلى أنّ «العهد القديم» لم يذكر اسم نبي واحد بعد أنبياء العودة من السّبي من

---

7 موسكاتي (سبتينو): الحضارات السامية القديمة، ترجمة وتعليق السّيد يعقوب بكر، الهيأة المصريّة العامة للكتاب، 1977، ص ص120-121 الذي بيّن آثار التّحول من البداوة إلى المدينة على أشكال حضور يهوه بين شعبه، فلم يعد ذلك الإله السّاكن في السّحب، بل أضحى يسكن جدران المعبد.

8 إنّ من أبرز هؤلاء الأنبياء النّبي حزقيال (حزقيال 1/1-3) والنّبي إرميا (إرميا 11/26-18).

9 نشير في هذا المجال إلى أنّ العهد القديم نسب إلى عدّو وعزرا/ عزريا صفة النّبوّة رغم أنّهما من أرباب نظم معرفيّة أخرى، فعدّو Iddo هو رائيّ (2 أخبار 22/13)، وقد أشار «العهد القديم» إلى أنّه زامن النّبيّ شمعيا، وما يمكن الإشارة إليه في ما يتعلّق بسيرة عدّو شحّ الأخبار، واقتصار «العهد القديم» وسائر المعاجم والقواميس المُختصّة على ذكر أنّه كان كاتبا لرحبعام (2أخبار 15/12 و22/13 و29/6)، فهو بمنزلة المؤرّخ إلى جانب اضطلاعه بمهمّة الكتابة للملك. أمّا عزرا، فقد أشار «العهد القديم» إلى أنّه قد عاصر الوالي نحميا، وقد تولّى أمر خروج اليهود من أرض بابل نحو أورشليم (العودة من السّبي)، فيكون بذلك الزّعيم الرّوحيّ للجماعة اليهوديّة العائدة من بلاد السّبي. وقد ذهب أغلب الباحثين إلى أنّ خروج اليهود من بابل تمّ حوالي 458 أو 457 أي في عهد ارتحشتا الأوّل، وفي المقابل وجدنا من قال إنّ العودة من السّبي تمّت في عهد ارتحشتا الثّاني، أنظر

Solomon (Jana): les Prophètes de L'AncienTestament ; traduction par Carl Gustav, Bordas, Paris, 1999 ; pp263,264

وفي المقابل لم، تعتبر بعض المراجع عزرا نبيّا، بل كان فيها كاهنا، أنظر مقال «عزرا» ضمن «قاموس الكتاب المقدّس»، دار الثّقافة، ط1، بيروت لبنان، (د.ت)، ص621 وأنظر عزرا 7/6-12.

10 مقال"نبي" لأنيس صايغ ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 949

11 مقال "الكاهن الأعظم" لفؤاد عقاد، المرجع نفسه، ص793

12 الخروج 30/28 وعزرا2/36 والعدد16/40 18/5 و2و أخبار 15/3 وحزقيال 7/26.

13 المسيرى (عبد الوهّاب): موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة (الموسوعة الكاملة في سبعة مجلدات)، دار الشّروق، ط3، القاهرة مصر، 2003، فصل «الأنبياء والنبوّة»، مج 5، ص81، وأنظر كذلك

Poupard Paul: Dictionnaire des religions, P uF,1984, p1370.

جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ الكاهن عوّض النّبي واتّخذ لنفسه ما كان اتّخذه النّبي من وضع في الحياة الدّينيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة.[14]

إنّ الأمر في تقديرنا عائد إلى أسباب عديدة؛ منها أنّ المُؤسّسة الكهنوتيّة كانت في أغلب الأحيان متصلة اتصالا مباشرا بالمُؤسّسة السّياسيّة أكثر من النّبوّة، إذ كان الكهّان يُشرفون على مراسم تعيين الملك אילו، زد على ذلك أنّ العديد من الكُهّان دخل في أحلاف سياسيّة، ولا سيما في فترة الحكم الرّومانيّ لأورشليم.[15]

إنّ أهمّ التحوّلات الّتي شهدتها مؤسسة الكهانة مأتاها التغيرات الّتي عرفها الواقع السّياسيّ والاجتماعيّ وما عاشته المنطقة من تحالفات سياسية من جهة، وبالنظر إلى صلة الجماعة اليهوديّة بالرّبّ الإله من جهة أخرى.

لقد ظلّت مؤسسة الكهانة تراوح بين القدرة على التّأثير في الحياة الاجتماعيّة والعجز عن ذلك[16]، ولاسيما في الفترات الّتي أهمل فيها الكُهّان واجباتهم الدّينيّة بسبب انشغالهم بمصالحهم الشّخصيّة على حساب مصالح الجماعة اليهوديّة، وقد ترتّب على ذلك فقدان الكهّان الحظوة لدى الجماعة اليهودية الّتي رأت في الأنبياء خير بديل.[17]

ب: النّبي

إنّ مُتصفّح أسفار «العهد القديم» يتبيّن له أنّ العديد من الشّخوص الّذين وُسموا بالنّبوّة سُمّوا أيضا بأسماء أخرى، إذ نُعت المُرسل من الله بـ «الأب/ الآباء»[18]، وبـ «رجل الله»[19] وبـ «الرّائيّ» حوزيه חֹזֶה.[20]

وقد حملت أغلب التّسميات دلالات متقاربة، ففي الآية التاسعة من الإصحاح التّاسع من سفر صموئيل الأول «كَانَ النَّبِي حِينَذَاكَ يُدْعَى الرَّائِيَ، فَكَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ عِنْدَ ذَهَابِهِ لِيَسْتَشِيرَ الرَّبَّ: هَيَّا نَذْهَبْ إِلَى الرَّائِي.»

14 المشرقي (أحمد): النّبوّة في الأديان الكتابيّة، جامعة الزّيتونة، ط1، تونس، 1999، ص 39 وما بعدها.

15 مقال "الكاهن الأعظم" لفؤاد عقّاد ضمن قاموس الكتاب المقدّس، (سبق ذكره)، ص 794

16 Solomon (Jana): les Prophètes de L'Ancien Testament, (op cit) , P47

17 2 أخبار 7/18-10و 8/19-10 وحزقيال 24/44

18 التكوين 7/20

19 2 ملوك 9/4.

20 1 أخبار 4/23 و1 أخبار 22/9

إنّ هذه الآية -رغم ما قدّمه الباحث اليهوديّ المعاصر سيجال Segal، من طعون حول صحّة انتمائها للعهد القديم-[21] ذات قيمة بالغة في فهم خصوصية مُؤسّسة النّبوّة، فتسمية المُرسل من الرب الإله بالنّبي وفق هذه الآية تعود إلى القرن العاشر قبل الميلاد؛ أيْ مع ظهور صموئيل الّذي نُزّلت نبوته منزلة النبوة الانتقالية بين النبوة في شكلها البدوي والنبوة في شكلها الحضري، إذ أرجع مرسيا إلياد Mircea Eliade (1907م /1986م) سبب استعمال اسميْ «النّبي» و«الرّائي» للدلالة على شخص واحد إلى عوامل اجتماعيّة وسياسيّة؛ فالجماعة تحوّلت من العيش في البوادي إلى العيش داخل المدن، وذلك مع تأسيس المملكة.[22]

لقد ربط مرسيا إلياد بين تطوّر النّبوّة وتطوّر الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة وتطوّر العمران البشريّ، على أنّ للمسألة -في تقديرنا- وجوها أخرى تتصل بعاملين: مدار الأوّل على قدرة كلّ من الرائي والنّبي على مطالعة الغيب وتبيّن الآتي خيره وشرّه، فالرّائي شخص يتنبّأ بالغيب ويخبر بالآتي وفق علامات معروفة، فإذا بالرّؤيا صفة مكتسبة. أمّا النّبي، فهو رجل اختاره الإله وخصّه بالمعرفة، فهو الّذي يتكلّم باسم الإله، أو هو ذلك الّذي يتّخذه الإله وسيطا بينه وبين البشر مما جعله مختارا؛ فالنّبي من هذا المنظور أقرب ما يكون إلى الرّائيّ، ولاسيما إذا ما وعينا بأنّ النّبوّة قامت في مراحلها الأولى على الرّؤى وما يتطلّبه ذلك من قدرة على تفكيك الرّموز. أمّا العامل الثاني، فتمثّل في تزامن ظهور النبوة مع تحوّل واضح في ماهية الإله، إذ انتقل الفكر الديني اليهودي من تجسيد الإله إلى القول بانفصاله عن عالم البشر بإضفاء جملة من الصفات الّتي جعلته كائنا مجرّدا في جوانب مخصوصة.[23]

وقد أدّى بروز التصوّر الجديد لماهية الإله إلى تحوّل واضح في دور النبي من مُطالع للغيب إلى وسيط بين الإله والبشر؛ ففي أسفار «العهد القديم» مواقف نهض فيها النبي بهذا الدور، إذ كان يسمع الكلام الإلهي ويُدوّن أقوال الرب الإله ووصاياه، ويعمل على تبلغيها إلى الشعب.

ولا نستبعد أنْ يكون تبدّل الأزمنة قد ساهم في تنوّع التّسميات وتباعد مدلولاتها؛ ذلك أنّ اسم الرّائيّ نُسب في «العهد القديم» إلى نبيين هما صموئيل وعاموس[24]، اللذين يُعتبران من الأنبياء المُتأخّرين نسبيّا،

21 سيجال (م ص): حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، ترجمه من العبرية الحديثة وعلّق عليه حسن ظاظا، منشورات جامعة بيروت، ط2، بيروت لبنان، 1975، ص 78، وقد أورد حسن ظاظا أجزاء منه في كتابه "أبحاث في الفكر الدّينيّ اليهوديّ"، (دون ناشر)، ط1، دمشق سوريا، (د.ت)، ص61 وما بعدها.

22 Eliade (Mircéa): Histoire des Croyances et des idées religieuses (3Vol) , Payot, Paris, 1978, P335

23 نشير في هذا المجال إلى أنّ مراوحة اليهود بين البعد الحلوليّ الوثنيّ والبعد التّوحيديّ ارتبط بمدى نجاح الأنبياء في تحقيق إنجازات ملموسة في المستوى الاجتماعيّ والسّياسيّ (زكريا 1/13) وانظر كذلك ول ديورانت قصّة الحضارة ترجمة زكي نجيب محمود، دار الجيل، بيروت لبنان، (د.ت)، ج1، ص559 الذي اعتبر تعلّق اليهود بيهوه يعود إلى بحثهم عن الطّمأنينة والأمن والسلام.

24 Voir Solomon (Jana): les Prophètes de L'Ancien Testament, (op cit) , P125.

فالأوّل آخر القضاة، وقد رجّح الباحثون أنّه عاش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. أمّا الثّاني، فهو من أنبياء المملكة الجنوبيّة، وقد ظهر حسب أغلب المُؤرّخين في الفترة الممتدة بين 670 و646 قبل الميلاد.

إنّ تسميات مثل الأب ورجل الله والرائي، ... كانت متداولة لدى اليهود، باعتبارها مساوية للنّبيّ أو من كان بمنزلته[25]، فرئيس مدرسة «أبناء الأنبياء» سُمّي بـ«الأب» وبـ«السّيد»[26]، ووُسم بالنّبوّة بعض من كان من أتباع المُكلّف من قبل الرّبّ الإله.[27] ووُسم بالنّبوّة مجموعة من الناس دون أنْ تُذكر لهم أفعال[28]، وفي إشعياء 3/8 نُسبت صفة النّبي إلى أمّ النّبي دون أنْ تُذكر لها أعمال أو صفات تُشرّع اتّصافها بالنّبوّة، وقد نُسبت صفة النّبوّة إلى نساء كثيرات مثل دبورة ومريم أخت موسى وحنّة أمّ صموئيل وخِلدة امرأة شلوم.[29]

إنّ النّبوّة، رغم ما صيغ حولها من شروط ظلّت في أسفار «العهد القديم» حاملة لصفات غامضة، وقد زاد من غموضها أنّ وظائف الأنبياء عرفت تغيّرات رئيسة، ولاسيما في مرحلة انقسام مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين متناحرتين؛ إذ دعا الأنبياء إلى نبذ الشّرك وتجديد العهد مع الرّب الإله بإعلان التوبة[30] وتجاوز البعد الطّقسيّ الخالي من الدّلالات الرّوحيّة[31]، فكان عماد عمل النّبي الإصلاح الاجتماعيّ.

إنّ الأحداث التّاريخية الّتي شهدتها مملكتا اليهود (مملكة الشمال ومملكة الجنوب) أثّرت في ماهية النّبوّة من جهة، ومن جهة أخرى أكّدت أنّ النّبوّة مُؤسّسة مُعقّدة في مستوى وظائفها ودورها الاجتماعي والديني وفي مستوى علاقاتها بالمؤسسة السياسية وبالواقع المعيش آنذاك، فهي بالأساس مُؤسّسة دينيّة اجتماعيّة

25 إنّ اللافت للانتباه أنّ بعض هذه التّسميّات لم تكن خاصة بالأنبياء، فرغم أنّ عبارة "رجل الله" أُطلقت في أغلب الأحيان على "موسى" (1 أخبار 4/23، التثنيّة 1/33، عزرا 2/3) فإنّها نُسبت أيضا إلى «الملك داود» (2 أخبار 14/8) وإلى «ملاك الرّبّ» (القضاة 6/13).

26 1 صموئيل12/10و 2 ملوك 3/2

27 2 ملوك 1/9.

28 نذكر من بين أولئك الأنبياء يوثام "يهوه نام" حوالي 760 - 746 ق.م (عاصر كلا من يوثام عزيا في المملكة الجنوبيّة، ويربعام الثاني في المملكة الشماليّة، راجع قاموس الكتاب المقدّس، سبق ذكره، ص1105) وعُوديد (عاصر «فقح» ملك المملكة الشّماليّة، وهو من اعترض النبي طريق جيش المملكة العائد من حربه ضد المملكة الجنوبيّة، ومعهم الأسرى، وبسبب ذلك وبّخهم النّبيّ أنظر في 2أخبار28/9-15) -وأليعازَر بن داود وهو من مريشة (تنبّأ هذا النبي بغرق سفن يهو سافاط بسبب مساندته أخآب أنظر في 2 أخبار 37/20) وعزريا وهو ابن عوديد (أرسل الله هذا النبي لتحذير الملك آسا من عبادة الأوثان أنظر في 2 أخبار 15/1-8) وياهو بن حناني (ثار هذا النبي على يعشا 909 – 886 ق م في المملكة الشّماليّة، وقد وبّخ ياهو أيضا سافاط على مساندته لأخاب 1 أنظر في ملوك 1/16 وسفر ملوك 2/19) وحناني/حننيا أي «يهوه قد أنعم» (لم نجد أيّ خبر عن هذا النبي في العهد القديم والقواميس والمعاجم المختصة، أنظر في قاموس الكتاب المقدّس، ص 323) وبَلْعَامْ يعني اسمه «الملتهم» وهو ابن بعور من فتور بين النّهرين/العراق (ويعود نسل هذا النبي إلى إبراهيم الخليل، وإليه نسبت أعمال تشبه أعمال العرّافين مثل معرفة ما سيقع لكلّ إنسان أنظر في العدد 22/9-25 والعدد 31/8-16) وميخا بن يَمْلَة: ويعني اسمه «من كيهوه» (لقد أخبر هذا النبي أخاب بهزيمته ضد راموت جلعاد أنظر في 1 ملوك 22/13-28 و2 أخبار 18/7-27) ونبيّ مجهول (تقدّم لأخاب مبشرا بالنّصر الآتي، ويُخبر بالغيب أنظر في 1ملوك 20/13 22/20 28/20) والنّبيّ يعدو (لم نجد أخبارا عنه أنظر في 2 أخبار 29/9) وآساف النّبيّ (لم نجد أخبارا عنه أنظر في 2 أخبار 30/29) ونبيّ مجهول آخر (لم نجد أيّ شيء آخر عن سوى إشارة واردة في 1 صموئيل 27/2).

29 مقال "نبي" لأنيس صايغ ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 952

30 إرميا الذي تحدّث عن ختان القلوب بدلا من الختان الجسديّ (إرميا 1/4-4).

31 عاموس 21/5-25 وإرميا 21/7 وإشعياء11/1.

(التّشريع)، على أنّها أيضا مُؤسّسة تاريخيّة سياسيّة[32]، من ذلك أنّ دعوات الأنبياء تلوّنت في أغلب الأحيان بطبيعة الظّرف التّاريخيّ الّذي عاش فيه كلّ واحد منهم.[33]

نخلص مما تقدّم، إلى أنّ النبوة في «العهد القديم» على صلة وطيدة بواقع الجماعة، إذ عُدّ الاهتمام بالحاضر وإصلاح الأوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية من أوكد مهام الأنبياء الّذين عبّروا عن ذلك في شكل رؤى غلبت عليها نزعة تفاؤلية بتحقّق الآمال المشيحانية الّتي طالما اشرأبت لها الأعناق وتعطشت لها قلوب اليهود.

إنّ النّبي لم يعد ذلك الّذي يقرأ الطالع أو يحاول معرفة الآتي أو ذلك الّذي يساهم في الطقوس الدينية أو ذاك الّذي يقف إلى جانب الملوك ويمنحهم البركات الإلهية، بل أصبح مُحيي الميثاق وداعي الشعب إلى تجديد العهد مع الإله، ومُصورا للآتي خيره وشرّه فيما يتعلّق بمصير الشعوب والمدن، مستمدا كل ذلك من رؤاه الخاصة.[34]

كانت قيمة كلّ نبيّ تُقاس بحجم التّأثيرات الّتي تركتها نبوّته في نفوس المؤمنين أو في نفوس أعدائهم[35]، فكان الحديث عن أنبياء الأمّة (موسى، صموئيل، عاموس، هوشع ...) وعن أنبياء أفراد (أليشاع،) [36]، على أنّ الثابت في أغلب الأحيان تلوّن طبيعة النبوّة بالطابع القومي؛ فالأنبياء الآباء ارتبطت نبوءاتهم بجماعة إسرائيل أساسا (العهد، الوعد) وتوطّدت أركان هذا التصوّر مع الأنبياء القضاة الّذين اتخذوا منحى مُتشددا من الآخر، وهو ما تجلّى من خلال سعيهم إلى ترسيخ مفهوم حلول الله بين شعبه.

---

32 إنّ علاقة النّبي بالملك في "العهد القديم" اتّخذت ثلاثة أشكال، هي:

- سيطرة النّبي على الملك (صموئيل،)

- سيطرة الملك على النّبي، إذ ذكر عبد الوهاب المسيرى في موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، (سبق ذكرها)، ج5، ص83 أنّ "الملوك [كانوا...] يطلبون المشورة والنصح من الأنبياء نظير أجر يبلغ في بعض الأحيان ربع شيكل[كي] يطلقوا نبوءات سياسية".

- اتخاذ كل طرف من الآخر عدوا وخصما (صراع النّبيّ إيليا مع الملك آخاب).

33 1 ملوك 17 -18-19.

34 يمكن تقسيم النّبوّة في "العهد القديم" إلى خمس مراحل تحتوي المرحلة الأولى الأنبياء المؤسسين إذ كان النّبي في هذه المرحلة المُبلّغ للأوامر الإلهيّة والسّاهر على تنظيم الحياة الدّينيّة لاسيما طقس القربان، وقد عُدّ موسى قطب هذه المرحلة وأهمّ نبيّ فيها (التّثنية 10/34). أمّا أنبياء المرحلة الثانية فيمكن تسميّتهم بـ "أنبياء الدّولة"، وهم الأنبياء الّذين ظهروا في الفترة المُمتدة من القرن العاشر إلى القرن السّادس قبل الميلاد.

وقد قام هؤلاء الأنبياء في أغلب الأحايين بتنصيب الملوك ومسحهم أو عزلهم، ويمكن اعتبار هذه الفترة ذروة النشاط النّبوي، إذ كثيرا ما وجدنا النّبي ينهض بدور اجتماعيّ وسياسيّ (مثال ذلك عزل صموئيل لشاؤل وتعيينه داود بدلا منه). أمّا المرحلة الثالثة فمثّلها أنبياء ما قبل السبي (إيليا، إليشاع، ...) وقد غلب على نبواتهم الإنذار بخراب أورشليم عقابا لأهلها على خرقهم العهد الإلهي، ثمّ تلت هذه المرحلة مرحلة النبيين دانيال وحزقيال، وقد تركز عملهما على منح الجماعة اليهوديّة نفسا تفاؤليا، فكانت تفسيرات دانيال للرّؤى"تستبطن رؤية دينيّة للتّاريخ [الّذي كان] يسير قدما نحو نهايته[أيْ] انتصار بني إسرائيل على القوى السّياسيّة المُهيمنة عليهم" المشرقي (أحمد): النّبوّة في الأديان الكتابيّة، (سبق ذكره)، ص 54. أمّا المرحلة الخامسة فيمثّلها أنبياء ما بعد العودة من السّبي، وكان عملهم تتمّة لما بدأه أنبياء السّبي، إذ ركزوا على جوانب تتعلق بالحياة الرّوحيّة للجماعة اليهوديّة (النّاموس، الهيكل،)، فكان أهمّ أعمالهم مُتمثلا في تنظيم الحياة الدّينيّة.

35 مثال ذلك الأب يوسف والنّبيّ دانيال.

36 المشرقي (أحمد): النّبوّة في الأديان الكتابيّة، (سبق ذكره)، ص 47.

ج: وشائج القربى ووجوه الاختلاف بين النّبي والكاهن

علاقة النبي والكاهن بروح الله

لئن كان الكهّان يتوارثون سلطة الإشراف على الهيكل، فإنّ الأنبياء كانوا يتوارثون «روح الله»[37] إذ انتقل من موسى إلى غيره ومن إيليا إلى أليشاع[38]، وقد قام «روح الله» في الفكر الدّيني اليهودي بإرشاد الأنبياء، على أنّ روح الله قد قاد أيضا هارون وسبطه[39]، بيد أنّ الأمر يختلف في الحالتين، ففي الأولى يندرج عمل «روح الله» ضمن عملية الاتّصال بين الله والإنسان في بعديْها التّصاعدي والتّنازلي. أمّا في الحالة الثّانيّة، فيكون عمل «روح الله» ضمن عمليّة الاتّصال بين الله والإنسان في بعدها التّصاعدي، على نحو الآتي:

الله	الله
↑	↓↑
الإنسان	الإنسان
الكـاهن	الـنّبـــي

صلة النّبي والكاهن بالله والجماعة اليهوديّة

لقد عمد بعض الفلاسفة اليهود المُعاصرين إلى إعادة فهم المقصود بـ«روح الله»، من ذلك أنّ سبينوزا أشار إلى أنّ الحديث عن وجود صلة بين «روح الله» و«الأنبياء [... سببه أنّ العامة] تجهل علل المعرفة النّبويّة وتدهش لها، ولهذا السّبب اعتادت إرجاعها إلى الله».[40]

وبناء على ذلك، ذهب إلى اعتبار «روح الله» عبارة تُطلق في «العهد القديم» على عناصر الطّبيعة وعلى قوى ذاتيّة مثل الإرادة[41] رافضا بذلك المعنى المُتداول لـ «روح الله»، باعتباره إرادة خارجيّة منسوبة إلى الله على جهة الحقيقة.

---

37 نفت بعض الأسفار هذا الأمر، أنظر هوشع 7/9 ويوئيل 3/1-2، وحزقيال 11-5.

38 العدد 17/11 و2 ملوك 1/2 وما بعدها.

39 اللاويين 22/9-24.

40 باروخ (سبينوزا): رسالة في اللاّهوت والسّياسيّة، ترجمة حسن حنفي وتقديمه، ومراجعة فؤاد زكريّا، دار الطّليعة للطباعة والنشر، ط3، بيروت لبنان، 1994، ص 142.

41 نشير في هذا السياق إلى أنّ ابن ميمون (موسى بن عمران): في دلالة الحائرين، تحقيق حسن آتاي، مكتبة الثّقافة الدّينيّة، (د ت)، ص 93، اعتبر روح الله اسما دالا على الله وعلى إرادته أيضا.

ركّز سبينوزا على فكرتين أساسيتين؛ هما اعتبار النّبوّة مُتّصلّة بذات النّبي (ولا يعني ذلك غياب التّكليف) من جهة، ومن جهة أخرى اعتبر الخيال قوام النّبوّة، ممّا جعل النّبوّة مُتعلّقة بشخص النّبي وبكفاءاته التّعبيريّة والإدراكيّة، وهو ما يمكن أنْ يتوفّر في سائر المنظومات المعرفيّة القديمة مثل العِرافة والسّحر.

إنّ النّبوّة لم تكن مُؤسّسة خارج التّاريخ، بل هي من صميمه، على أنّ لكلّ نبيّ رؤاه وتصوّراته حول الله وروحه، بيد أنّ ذلك لا يمنعنا من القول إنّها «تتفق جميعا مع تصوّرات العامة لله وللأرواح»[42]، إلاّ أنّ ذلك غير كاف لنجاح الأنبياء الذين كانوا مطالبين بتحقيق المُنتظر منهم، باعتبارهم مُمثّلي الرّبّ الإله الّذي وعد شعبه بالنّصر، في حين كانت الكهانة في «العهد القديم» منذ البداية مُؤسّسة دينيّة مُكمّلة ومُتكاملة مع مُؤسّسة النّبوّة، فلئن كانت النّبوّة إبرازا لمقاصد الرّبّ الإله ورغباته، فإنّ الكهانة كانت مُطالبة بالمُحافظة على المكاسب الإصلاحيّة الّتي تحقّقها الأولى، وهي مدعوّة إلى تمتين علاقة اليهود بالإله.

الكهانة والنّبوّة وفق «العهد القديم» مُؤسّستان مُتّصلتان بالرّبّ الإله اتّصالا حقيقيّا، على أنّ الأولى تتحرّك في أفق بشريّ بالأساس. أمّا الثّانية، فهي تتحرّك في أفق إلهيّ.

تكوين الأنبياء والكُهّان

إنّ تعدّد وجوه الاشتراك بين مُؤسّستيْ النبوة والكهانة لا يُخفي عنّا الفوارق العديدة القائمة بينهما؛ فالكهانة رغم كونها مُؤسّسة دينيّة خضعت لما خضعت له النّبوّة من اصطفاء، فإنّها تميّزت بكونها مُؤسّسة وراثيّة مُهمّة القائمين عليها المحافظة على سلامة الطّقس، وما يترتّب على ذلك من تقاليد وعادات اجتماعيّة، في حين كان النّبي في علاقة جدليّة مع واقعه بمختلف أبعاده، فكانت أعماله ترمي إلى تجاوز الموجود والتّحذير والإنذار من مغبّة التّمادي في الفساد وخرق النّاموس[43]، فهو منخرط في الحياة السّياسيّة والاجتماعيّة[44] انخراطا يختلف بالضرورة عن انخراط الكُهّان.

واللافت للانتباه أيضا، أنّ التشابه بين مؤسستي النبوّة والكهانة لم يقتصر على ما سبق ذكره، بل طال طرق التكوين، فالنّبوّة حاكت الكِهانة في مستوى الإعداد، فبعد «الأنبياء الآباء» ظهرت مدارس «أبناء الأنبياء» وقد «كانت مناهج المدارس تشتمل تفسير التّوراة وتعليم الموسيقى والشّعر[...] وكانت معيشتهم

42 باروخ (سبينوزا): رسالة في اللاهوت والسّياسيّة، (سبق ذكره)، ص144.

43 ولاسيما أنبياء ما قبل السّبي مباشرة، أنظر عاموس 5/18-20

44 نجيب (أنطنيوس): معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، ط3، بيروت لبنان، 1991 "نبيّ"، ص 797

في منتهى البساطة وكانوا يتعوّدون على التّقشّف [...] وكان الله يختار من بين هؤلاء التّلاميذ عددا، ويلقبّهم أنبياء له [...على أنّ ثمّة من] الأنبياء مَنْ لم يدخل تلك المدارس أمثال عاموس.»[45]

إنّ الحرص على تكوين الأنبياء في هذه الجوانب مرتبط بما كان شائعا لدى اليهود من ترادف بين هذه الضّروب من الفنون وطقوس العبادة؛ ذلك أنّه «قلّما قامت عبادة يهوديّة كانت أم مسيحيّة أو وثنيّة لم تقبل الغناء وتعطه صبغة مقدّسة[...] فالعبرانيون استخدموا الغناء في عباداتهم كلّها، داخل الهياكل وخارجها، كما كانوا يغنّون في الاحتفالات والمواسم[...] وكان أغلب المُغنين ومن يُصاحبهم من المُوسيقيين من اللاّويين.»[46]

نهض الغناء والشّعر بدور مهمّ في تكوين النّبي والكاهن[47]، فلقد نُسب الشّعر إلى النّبي والنّبيات والآباء والنّساء اليهوديّات البارزة، ففي «العهد القديم» نجد أسفارا شعريّة خمسة[48]، أضف إلى ذلك أنّنا نعثر في أسفار أخرى على أشعار لموسى وأخته مريم وسارة ويعقوب، بل إنّ النّبي إليشاع في 2 ملوك 15/3 طلب من الملك جورام بن آخاب أنْ يأمر بالعزف على العود، كيْ يتمكّن من التّنبؤ فـ«لَمَّا ضَرَبَ الْعَوَّادُ كَانَتْ عَلَيهِ يَدُ الرَّبِ».

إنّ حلول روح الله أو يد الرّبّ على النّبي أليشاع تزامن مع الضّرب على العود، فكلّما تقدّم العوّاد في العزف، زادت روح النّبي صفاء وبات أقدر من قبل على الاتّصال بعالم الغيب، فبالموسيقى توصّل النّبي إلى إدراك الحقيقة (النّبوّة).

الشّعر والغناء والموسيقى مسالك اعتمدها النّبي في نبوءاته، ولم تكن هذه المسالك بمنأى عن المُمارسات الطّقسيّة المُقامة في الهيكل، فالمُغنّون خدموا في الهيكل شأنهم شأن الكهّان، وخضعوا لتنظيم هيكليّ يشبه إلى حدّ كبير التّنظيم الكهنوتيّ، بل إنّ المُغنيّن والمُوسيقيّين ينتمون إلى سبط لاوي الّذي ينتمي إليه الكهّان.

الموسيقى والغناء والشّعر مقومّ رئيس من مقوّمات النّبوّة[49]، إذ ارتبط الشّعر بالتّراتيل والطّقوس السّحريّة والدّينيّة في ثقافات الشّرق القديم وحوض البحر الأبيض المتوسط. أمّا الغناء، فمثّل جزءا من

45 مقال "نبي" لأنيس صايغ ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 949

46 مقال "غناء" لأنيس صايغ في المرجع نفسه، ص664

47 نحميا 36/12

48 هذه الأسفار هي: الأمثال والجامعة ونشيد الأنشاد وأيوب والمزامير.

49 1 صموئيل 10/5-6

تكوين الكهّان اليهود[50]، على أنّ ما جمع بين مُؤسّسة الكهانة ومُؤسّسة النّبوّة اتّصالهما اتّصالا صادقا بعالم الغيب، في حين كان المُغنّي والشّاعر والمُوسيقيّ على صلة بعالم الذّات، فإذا بالكاهن أو النّبي يقوم برحلتين رحلة باتّجاه عالم الذات/الدّاخل، وفيها تتجلّى النّفس وتحقّق صفاءها[51]، أمّا الرّحلة الثّانيّة، فتكون باتّجاه العالم الخارجي/الإله.

2: النّبي والنّظم المعرفيّة غير الرّسميّة

أشار «العهد القديم» إلى انتشار السّحر في بلاد الشّرق القديم[52]، ويبدو أنّ اليهود قد مارسوا السحر؛ ففي أحيان كثيرة تشابه عليهم أمر الأنبياء وأمر السّحرة، ولعلّ في سلوك بعض الأنبياء ما يُفسّر هذا التّداخل بين المُؤسّستين في أذهان الجماعة اليهوديّة[53]، فالكثير من المعجزات الّتي كان يأتيها الأنبياء كان يأتي بمثلها السّحرة، وإنّما كان الفرق بينهما أنّ «الأنبياء يتنبؤون [كذا] لا كالعرّافين والسّحرة، وإنّما انطلاقا من الإيمان بالإله الواحد».[54]

فلئن كان الكاهن والنّبي الحقيقي يستندان في أفعالهما إلى «الرّبّ الإله»، فإنّ «الأرواح الشّريرة» هي من كانت تقود الأنبياء الكذّابين والسّحرة والعرّافين.[55]

على أنّ تبيّن هذا الفرق بين النّبي والسّاحر، يظلّ أمر عصيّا بالنّسبة إلى أذهان الناس البسطاء الّذين يدركون الأشياء بالنّظر إلى فعلها المحسوس. أمّا فيما يتعلّق بصلة النّبي الحقيقيّ بالنّبي الكاذب، فإنّنا نشير إلى ضرورة التّمييّز بين «أنبياء بعل»[56] و«الأنبياء الكذّابين»، فأنبياء «بعل» هم الّذين ظهروا في زمن الملك آخاب وزوجته إيزابيل. أمّا الأنبياء الكذّابون، فهم من بني إسرائيل وقد ظهروا في فترات متباعدة.

---

50 نجد في 1 أخبار 31/6 و15 و16 و2 أخبار 25/29 تحديدا لطبيعة العلاقة القائمة بين الموسيقى وطقوس العبادة، وبالإمكان النظر أيضا في مايتعلق بهذه المسألة في مقال «العود» لأنيس صايغ ضمن «قاموس الكتاب المقدّس»، (سبق ذكره)، ص646

51 أنظر تأثر الملك شاول بالموسيقى في 1 صموئيل 23-19/16

52 العدد 6-5/22

53 1ملوك 28-5/22

54 المسيرى (عبد الوهّاب): موسوعة اليهود واليهوديّة والصّهيونيّة، (الموسوعة الموجزة) (مجلّدان)، دار الشّروق، ط3، مصر القاهرة، 2006، مج 2، ص44

55 1 ملوك 21/22

56 1 أنظر ملوك 18/ 22

أ: النّبي الكذّاب والعرّاف[57]

ركّزت أسفار «العهد القديم» نقدها على النّبوّة الكاذبة، ويعزى الإلحاح على محاربة الأنبياء الكذّابين إلى تزامن ظهورهم مع ظهور الأنبياء الحقيقيّين[58]، إذ حرص «العهد القديم» في أسفار عديدة أهمّها «سفر إرميا» على تمييز النّبي الحقيقي من النّبي الكذّاب[59]، فالنّبي الصّادق الحقيقي من تَكَلَّمَ بتفويض من الرّبّ الإله؛ معنى ذلك أنّ النّبوّة هبة من الله لبعض البشر كيْ ينطقوا بأحكامه وأوامره، في حين يكون الكذّاب معتمدا على ذاته.

عمد «العهد القديم» إلى الرّبط بين الأنبياء الكذّابين رجالا كانوا أم نساء[60] والسّحرة والعرّافين؛ وذلك في إرميا9/27: «فَلاَ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ لِأَنْبِيَائِكُمْ وَعَرَّافِيكُمْ وَحَالِمِيكُمْ وَعَائِفِيكُمْ وَسَحَرَتِكُمُ الّذِينَ يُكَلِّمُونَكُمْ قَائِلِيْنَ لَنْ تُسْتَعْبَدُوا لِمَلِكِ بَابِلَ»، بل إنّنا نجد في بعض المواضع إشارات إلى وجود تشابه بين السّاحر والعرّاف في التّصوّر اليهوديّ إلى حدّ نوشك معه على القول بتطابق المُؤسّستين.[61]

أشار «العهد القديم» في «سفر ميخا» إلى تعاطي أنبياء أورشليم العِرافة، بقوله: إِذْ يَحْكُمُ رُؤَسَاؤُهَا بِالرِّشْوَةِ، وَكَهَنَتُهَا يُعَلِّمُونَ بِالأُجْرَةِ وَيَتَعَاطَى أَنْبِيَاؤُهَا الْعَرَافَةَ لِقَاءَ الْمَالِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَدَّعُونَ الاتِّكَالَ عَلَى اللهِ قَائِلِينَ: «أَلَيْسَ الرَّبُّ فِي وَسَطِنَا؟ لِذَلِكَ لَنْ يُصِيبَنَا مَكْرُوهٌ».[62]

إنّ هذه الآية تعبّر عن عمق التّداخل بين مُؤسّستي العِرافة والنّبوّة من جهة، ومن جهة أخرى كشفت أقوال ميخا تواطُؤ الأنبياء والعرافين مع السلطة السياسية من أجل مصالح ذاتية (المال).

ونحن إذا ما تصفحنا الأسفار النبوية من «العهد القديم» ألفينا انتشار السّحر والعِرافة قد تزامن مع انتشار عبادة الأوثان[63]، وهو ما يفسّر في تقديرنا مساواة مدوّني أسفار «العهد القديم» بين السّاحر والعرّاف والنّبي الكذّاب؛ ذلك أنّهم أعداء للإرادة الإلهيّة، وعلى هذا الأساس تمّ اعتبارهم مناهضين للأنبياء الصّادقين.[64]

---

57 لقد نُسبت صفة "العِرَافة" في "العهد القديم" إلى النّساء اللاتي نُعتنَ بـ "النّبيات الكاذبات"، وهي تسميّة دالة على التّقارب الكبير بين المُؤسّستين (العِرافة والنّبوّة).

58 إرميا 5/23-32. و16/23 وميخا 8/3

59 إرميا 4/14-15 و16/23 و15/27 وحزقيال 3/13

60 1 ملوك 11/22 ونحميا 14/6

61 حزقيال 13/17-23.

62 ميخا1/3

63 ميخا5/10-11 و2ملوك23/23-24

64 حزقيال 13/3-23

حاول الأنبياء وضع حدّ فاصل بين عملهم وعمل السحرة والعرّافين، فجعلوا الله معاديا للعرّافين[65] وجعلوا من أفعال السّحرة والأنبياء الكذّابين مُنافية لأوامر الرّبّ الإله واعتبروها خروجا عن إرادة الله، وأعلنوا عجز العرّافين وأهل السّحر وغيرهم عن تحدّي الله وأنبيائه من جهة.[66] ومن جهة أخرى طرد الأنبياء -نيابة عن الرّبّ الإله- السّحرة والعرافين وأمروا بقتلهم.[67]

هذا الموقف المُتشدّد الّذي اتّخذه الأنبياء الحقيقيون من الأنبياء الكذّابين، يُوحي بالمنزلة المرموقة الّتي حظي بها الأنبياء الكذّابون وسائر مُمثّلي النّظم المعرفيّة غير الرّسميّة، فمن الواضح للعيان أنّ الأنبياء الكذّابين كانوا يُمثّلون حجر عثرة أمام الأنبياء الحقيقيين وأمام مشاريعهم الدّينيّة والاجتماعيّة[68]، على أنّ هذا الأمر ما كان ليلفت الأنظار إليه لو لم يكن للأنبياء الكذّابين نفوذ يُوازي نفوذ الأنبياء الحقيقيين.

إنّنا لا نستبعد أنْ يكون فشل الأنبياء في تحقيق مشاريعهم يعود في جزء منه إلى تنامي نفوذ أصحاب المُؤسّسات غير الرّسميّة (السّاحر، العرّاف، الأنبياء الكذّابون...) عند العامة والخاصة، من ذلك أنّ كلّ من الملك شاول والملك آخاب بعد أنْ حاربا العرّافين وأنبياء بعل تقرّبا منهم، إذ وقف شاول على أعتاب باب عرّافة «عين دور» مُستنجدا بها، وقدّم الآخر القرابين إلى بعل.

يبدو أنّ هذا النّفوذ لم يقتصر على مرحلة دون أخرى من مراحل تاريخ بني إسرائيل؛ ففي الآية السّابقة من «سفر إرميا» إشارة واضحة إلى اتباع اليهود لما كان يُروّج له الأنبياء الكذّابون من فشل البابليّين في هزم اليهود.

لقد كان الاستنجاد بالسّاحر أو العرّاف أمرا شائعا بين الخاصة والعامة؛ ففي أسفار عديدة أخبار عن تقرّب اليهود وغيرهم إلى «الأرواح الشّريرة» بممارسات تغضب الرّبّ الإله، مثل ذبح الأبناء[69]، وهو أمر من شأنه أنْ يجعلنا نقرّ بوجود صراع شديد بين مُمثّلي هذه النّظم المعرفيّة، بلغ حدّ التّآمر والقتل[70]، وقد كان

65 إشعياء 25/44

66 إرميا 17/8

67 اللاويين 6/20 و27

68 إنّ اعتبار النّبيّ مؤسسا لنظام اجتماعي تصور راج في الأوساط اليهوديّة، ولاسيما في الفترة الّتي تلت العودة من السّبي.

69 Société Biblique Française, Paris, Sagesse 12/3-6. AncienTestament,

70 إنّ هذا الصّراع لم يقتصر على النّظم المعرفيّة الرّسميّة مُمثلة في النّبوّة من جهة، ومُمثلي النّظم المعرفيّة غير الرّسميّة من جهة أخرى، ففي الكثير من الأحيان ناصب الكهّان الأنبياء العداء، لاسيما عندما تباعدت المصالح بينهما، من ذلك أنّ النّبي إرميا قد تعرّض إلى محاولة القتل (إرميا 8/26) من قبل الكهّان بمعونة بعض الأنبياء، وبالإمكان النظر في بعض الأحداث الأخرى المذكورة في 1 ملوك4/18 -13 و10/19- 14 و2 ملوك 16/21 ونحميا36/9

هذا الصّراع يزداد شدّة، بالنّظر إلى تقارب النّظم في مستوى الطّرح والآليات؛ ذلك أنّها كانت تتحرّك في إطار معرفيّ دينيّ واحد، وقد اتّخذت طرائق متشابهة وعُنيت بالمشاغل والاهتمامات نفسها.

أضف إلى ذلك، تأثيرات الوضع العام وما كان يُخالج العامة والخاصة من آمال وطُموحات جعلتهم يميلون إلى هذا الجانب أو ذلك، فميل اليهود إلى الأنبياء الكذّابين يفسّره احتواء نبوّاتهم على ما يُشبع نهم الجماعة، فلو نظرنا إلى نبوّة الكذّابين ببقاء أورشليم حرّة وفشل البابليين في مسعاهم المُتمثّل في هدم الهيكل وسبي اليهود، فإنّنا نجد هذه الدّعوة قد لاقت صدى لدى اليهود؛ لأنّها كانت تُحدّثهم بما كان يرغبون في تحقيقه.

وفي هذا المجال، نُذكّر بما كان بين الملك شاول وعرّافة عين دور؛ ففي «سفر صموئيل الأوّل» خبر فيه استنجد الملك شاول بعرّافة عين دور بعد مفارقة «روح الرّبّ» له، إذ نقرأ: «وَعِنْدَمَا تَجَمَّعَتْ قُوَّاتُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ عَسْكَرُوا فِي شُونَمَ، [...] فَقَالَ لِعَبِيدِهِ: ابْحَثُوا لِي عَنِ امْرَأَةٍ عَرَّافَةٍ وَسِيطَةٍ، فَأَذْهَبَ إِلَيْهَا وَأَسْتَشِيرَهَا. فَأَجَابَهُ عَبِيدُهُ: هُنَاكَ عَرَّافَةٌ تُقِيمُ فِي عَيْنِ دُورٍ. فَتَنَكَّرَ شَاوُلُ وَارْتَدَى ثِيَاباً أُخْرَى وَتَوَجَّهَ إِلَى بَيْتِ الْعَرَّافَةِ لَيْلاً بِصُحْبَةِ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِهِ، وَقَالَ لَهَا: اسْتَشِيرِي لِي رُوحاً، وَاسْتَدْعِي لِي مَنْ أُسَمِّيهِ لَكِ [...] فَسَأَلَتْهُ الْمَرْأَةُ: مَنْ أَسْتَدْعِي لَكَ؟ فَأَجَابَهَا: اسْتَدْعِي لِي صَمُوئِيلَ.»[71]

تحوّل موقف الملك شاول من محاربة العرّافين وقتلهم[72] إلى الاستنجاد بهم؛ فبعد أنْ «طَرَدَ الْعَرَّافِينَ وَوُسَطَاءَ الْجِنِّ مِنَ الأَرْضِ»[73] وقف على أعتاب عرّافة عين دور طالبا معونتها بعد أنْ: «اسْتَشَارَ الرَّبَّ [وَ] لَمْ يُجِبْهُ لاَ بِأَحْلاَمٍ وَلاَ بِالأُورِيمِ وَلاَ عَنْ طَرِيقِ الأَنْبِيَاءِ».[74]

إنّ شاول كان مضطرا إلى استشارة العرّافة غير راغب في ذلك، وممّا يكشف عنه المقطع السّابق أنّ للعرّاف قدرة على استحضار الأرواح، سواء كانت خيّرة أم شريرة، ويبدو أنّ للعرّافة سلطة روحيّة محسوسة على الأموات بما في ذلك الأنبياء (صموئيل).

دل موقف العرّافة على ثقة في النّفس تعكس قدراتها؛ ذلك أنّ ممارسة العِرافة أشبه ما تكون بالصّناعة، زد على ذلك أنّ العَرَّافة اكتشفت حقيقة شاول، وهو أمر يُؤكّد قدرتها وقدرة أهل صناعتها على معرفة الحقائق وإنْ كانت معرفتهم معرفة متأخّرة.

71 1صموئيل 3/28-16
72 1 صموئيل 3/28
73 1 صموئيل 3/28
74 1 صموئيل 3/28

لقد احتوى هذا المقطع على إشارات واضحة دالة على علاقة الأنبياء بالملوك من جهة، وعلى صلة الملوك بالرّبّ الإله من جهة ثانية، وعلى بعض خصائص العِرافة من جهة ثالثة؛ فالملك وفق ما ورد في هذا المقطع يُوحى إليه مباشرة، وذلك في الأحلام.... أو بطريقة غير مباشرة عن طريق نبيّ. أمّا العرّافة، فنهضت بدور مهمّ في تأمين الاتّصال بين عالم الشّهادة (الملك شاول) وعالم الغيب؛ أيْ الأموات (صموئيل)، وقد تميزت هذه الحادثة بالحضور المكثّف للعجيب والغريب مُتمثّلا في محاورة شاول لصموئيل، كما لو أنّ النّبي لم يزل حيّا لم يُفارق عالم الأحياء، إذ نُسبت إلى صموئيل أقوال كنّا نتوقّع أنْ ترد على لسان العرّافة، وكأنّنا بالنّبي والعرّاف يتكاملان يتمّم أحدهما ما بدأه الآخر.

ب: النّبي والسّاحر

حفلت نصوص "العهد القديم"، ولاسيما التّوراتيّة منها بذكر السّحر وأخبار أهله، ويبدو أنّ السّحر كان منتشرا في شعوب الشّرق القديم (مصر، آشور، بابل).[75]

وقد بيّنت أسفار «العهد القديم» أنّ شعوب المنطقة -بما في ذلك اليهود- اعتبرت السّحر مسلكا من مسالك المعرفة، فهي ظاهرة ثقافيّة ووجوديّة عكست رغبة الإنسان في الوعي بما يحفّ بكينونته من كائنات وقوى؛ ذلك أنّ السّحر «امتلاك قدرة فوق الطّبيعة أو معرفة الغيب بطرق مختلفة.»[76]

ومن مظاهر هذه القدرة، السّيطرة على الأرواح الشّريرة.[77] ولمّا كان للسّحرة مثل هذه القدرة بات بإمكانهم السّيطرة على جريان الزّمن، بـ «إدراك حوادث المستقبل وتعطيلها أو تأخيرها أو تغييرها بطرق غير مرئيّة [وقد] زعموا أنّ لهم علاقة بالجان أو بالآلهة.»[78]

وقد اتّخذ أنبياء «العهد القديم» موقفا سلبيّا من السّحرة، إذ توعّدوا السحرة والمعتقدين في صدقهم بأشدّ العقاب[79]، فتمّ منع السّحرة والعرّافين من الإقامة بين العبرانيين، ففي التّثنية 18/ 10-14 نقرأ: «وَلاَ يَكُنْ بَيْنَكُمْ مَنْ يُجِيزُ ابْنَهُ وَلاَ ابْنَتَهُ فِي النَّارِ، وَلاَ يَتَعَاطَى الْعِرَافَةَ وَلاَ الْعِيَافَةَ وَلاَ مُمَارَسَةَ الْفَأْلِ أَوِ السِّحْرِ، وَلاَ مَنْ يَرْقِي رُقْيَةً أَو يُشَاوِرُ جَانّاً أَوْ وَسِيطاً، أَو يَسْتَحْضِرُ أَرْوَاحَ الْمَوْتَى لِيُسَائِلَهُمْ، لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَعَاطَى ذَلِكَ مَكْرُوهٌ لَدَى الرَّبِّ. فَبِسَبَبِ هَذِهِ الأَرْجَاسِ عَزَمَ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ عَلَى طَرْدِ هَذِهِ الأُمَمِ مِنْ أَمَامِكُمْ، فَكُونُوا كَامِلِينَ

75 ملاخي 3/ 5 وناحوم 4/3 وإشعياء 47/8-10 وإشعياء 3/19

76 أنظر مقال "سحر، ساحر، سحرة" للبيب مشرقي ومنيس عبد النّور ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص460

77 المرجع نفسه والصّفحة نفسها.

78 المرجع نفسه والصّفحة نفسها.

79 الخروج 18/22

لَدَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ. إِنَّ تِلْكَ الأُمَمَ الَّتِي أَنْتُمْ تَسْتَأْصِلُونَهَا تُصَدِّقُ مُمَارَسَةَ الْمُشَعْوِذِينَ وَالْعَرَّافِينَ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَإِنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ يَحْظُرُ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ.» أمّا في الخروج 22/ 18 فنقرأ: «لاَ تَدَعْ سَاحِرَةً تَعِيْشُ».

واللّافت للنّظر أنّ هذه المواقف لم تكن ثابتة؛ ففي التّوراة وأسفار ما بعد العودة من السّبي وجدنا أحكاما واضحة بشأن السّحر وأهله، على أنّ أسفارا أخرى ضمّت أخبارا تؤكّد أنّ بني إسرائيل كانوا يتقرّبون إلى السّحرة، ويقدّرون دورهم في الحياة الاجتماعية والسياسية.

ولعلّه من المفيد التّمييز بين السّاحر والعرّاف وتفصيل القول في شأن كلّ واحد منهما؛ فالسّاحر يزعم أنّ له القدرة على التّأثير في الأشياء من جوامد وسوائل وكائنات عاقلة كانت أم غير عاقلة، وفي المقابل فإنّ العرّاف يقتصر على معرفة الأخبار واستحضار الأرواح دون القدرة على التّأثير فيها.

إنّ للسّاحر قدرة تتقاطع مع قدرة الرّبّ يهوه، أمّا العَرّاف فشأنه شأن النّبي كلّ واحد منهما يتوصّل إلى معرفة الغيب عن طريق وسيط (الجنّ/ملاك الرّبّ)، بيد أنّ العرّاف يزعم القدرة بذاته على مطالعة الغيب متى أراد وشاء. أمّا النّبي، فمُطالعته للغيب تكون عن طريق إرادة الرّبّ الإله في الزّمن الّذي يراه مناسبا.

إنّ الصّراع بين النّبي والسّاحر أو العرّاف[80] كثيرا ما كان ينتهي بخراب المدن وهلاك الأقوام الّتي آمنت بالسّاحر أو العرّاف[81]، وهي نهاية تكاد تكون ثابتة في جميع المواضع إلاّ القليل منها، ففي أسفار «العهد القديم» مواقف عديدة جمعت بين الأنبياء والسّحرة، وجميع تلك المواقف حَدَثَت في بلاد العبوديّة والسّبي، وقد اقتصرت على ثلاثة هم: الأب يوسف[82] والنّبي موسى والنّبي دانيال.

يوسف وسحرة فرعون

ذَكر «سفر التكوين» أنّ الانْزِعَاج [استولى على فرعون مصر بسبب حلم...] فاسْتَدْعَى جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَكُلَّ حُكَمَائِهَا، وَسَرَدَ عَلَيْهِمْ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَنْ يُفَسِّرُهُ لَهُ»[83]، وفي هذه الأثناء يُستقدم يوسف سدّا لنقص في المستوى المعرفيّ، وقد نهض السّاحر في هذه الحادثة بدور العالم الّذي وعى حدود علمه أمام علم غيره، فنحن لم نعثر مع يوسف على مُواجهة حقيقيّة بين النبي/الأب والسّحرة، أضف إلى ذلك أنّ هذه

80 إشعياء 25/44

81 إشعياء 8/47-10 وميخا 11/3

82 إنّ العهد القديم لم يعتبر يوسف نبيّا، بل هو أب من الآباء.

83 التكوين 8/41

الحادثة كشفت عن منزلة أهل العلم في مصر؛ ففرعون قدّم يوسف وأنزله منزلة مهمّة في الدّولة، بقوله: «وَلَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ مِنْكَ سِوَايَ».[84]

لقد كانت أفعال سحرة مصر وحكمائِها واجهة عكست تفوّق الإله الّذي يعبده يوسف، ففي انتصار يوسف على سحرة فرعون انتصار للرب الإله على غيره من الآلهة من جهة، ومن جهة أخرى دلّ ذلك على انتصار علم بني إسرائيل (النّبوّة) على علم المصريين (السّحر)؛ إذ «اسْتَحْسَنَ فِرْعَوْنُ وَرِجَالُهُ جَمِيعاً»[85] كلام يوسف وأبدوا إعجابهم بالنّبي وتقديرهم له لما هو عليه من علم.

أثّرت تفاسير يوسف في فرعون وأتباعه، فشعور فرعون بالخوف والعجز كان فرصة ليوسف، كي يأخذ زمام المبادرة، ويستأنف مسيرة النّجاح الّتي انتكست بفعل زوجة فوطيفار، ومن أهم مظاهر انتصار يوسف أنْ «دَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ (أي مخَلِّص الْعَالَمِ أو حافظ الحياة) فَذَاعَ اسْمُ يُوسُفَ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ مِصْرَ».[86]

موسى وسحرة فرعون

نهض السحرة في قصة موسى وهارون بدور المُعارض، وقد تجلّى ذلك من خلال السعي إلى إبطال أفعال النّبيين، فلئن «مَدَّ هَارُونُ يَدَهُ عَلَى مِيَاهِ مِصْرَ فَصَعِدَتِ الضَّفَادِعُ وَغَطَّتْ أَرْضَ مِصْرَ[فقد] فَعَلَ كَذَلِكَ الْعَرَّافُونَ بِسِحْرِهِمْ وَأَصْعَدُوا الضَّفَادِعَ عَلَى أَرْضِ مِصْرَ»[87]، وقد أدّى ذلك إلى اشتداد «قَلْب فِرْعَوْن [الّذي] لَمْ يَسْمَعْ»[88] لموسى وهارون، وذلك بالنظر إلى ما أبصره من تساو في القدرات بين موسى والسّحرة.

حاكت أفعال السّحرة ما قام به موسى وهارون حينا[89]، وعطّلتها حينا آخر، وفي كلتا الحالتين كان للسّحرة قدرات لا تقلّ عن قدرات النّبي، بيد أنّ الفارق بين القدرتين ماثل في أنّ قدرات الساحر تظلّ محدودة، فبمجرد وقوع الضّربة الثّالثة «البعوض» اعترف السّحرة بعجزهم عن مُواجهة موسى.[90]

---

84 التكوين 40/41

85 التكوين 37/41

86 التكوين 45/41

87 الخروج 8-5/8 وانظر كذلك الأصحاح السّابع من نفس السّفر.

88 الخروج 21/7

89 إنّ الضربات التي أصابت مصر أجراها الرّبّ الإله وفق الرواية التوراتية على يد هارون بعد أنْ كانت في البداية تُجرى على يد موسى، فظهور هارون لمُقاسمة موسى النّبوّة جعل مُؤلف "سفر الخروج" ينسب أفعالا مخصوصة إلى هارون سبق أنْ نُسبت إلى موسى كي يؤكد اتّصاف هارون بصفة النّبوّة شأنه في ذلك شأن موسى، ولكنْ لماذا تمّ اعتبار هارون نبيّا شأن موسى؟

إنّ المسألة في تقديرنا متعلّقة بما لآل هارون من منزلة في شؤون المُعتقد اليهوديّ، فمن نسله كان سبط لاوي الّذي استأثر بالكهانة دون سائر الأسباط اليهودية.

90 الخروج 11/9

دانيال وسحرة نَبُو خَذْ نَاصَّر

ذَكر «سفر دانيال» أنّ النّبي نجح في ما فشل فيه السحرة، فـ«نَبُو خَذْ نَاصَّرُ [عندما رأى] أَحْلاَماً أَزْعَجَتْهُ وَطَرَدَتْ عَنْهُ النَّوْمَ، أَمَرَ أَنْ يُدْعَى السَّحَرَةُ وَالْمَجُوسُ وَالْعَرَّافُونَ وَالْمُنَجِّمُونَ لِيُخْبِرُوهُ بِأَحْلاَمِهِ فَحَضَرُوا وَمَثَلُوا أَمَامَهُ.» إلاّ أنّ هذه الدّعوة انتهت بخيبة أمل واشتداد الأزمة على نبو خذ ناصّر، إذ أخفق السّحرة والمُنجّمون، وهو ما أغضب الملك الّذي «أَمَرَ بِإِبَادَةِ كُلِّ حُكَمَاءِ بَابِلَ»، فـ«لَيْسَ عَلَى الأَرْضِ إِنْسَانٌ فِي وُسْعِهِ تَلْبِيَةُ أَمْرِ الْمَلِكِ وَلَمْ يَحْدُثْ أَنَّ مَلِكاً عَظِيماً ذَا سُلْطَانٍ طَلَبَ مِثْلَ هَذَا الأَمْرِ مِنْ مَجُوسِيٍّ أَوْ سَاحِرٍ أَوْ مُنَجِّمٍ»[...] وَجَاءَ مَنْ يَقْبِضُ عَلَى دَانِيالَ وَرِفَاقِهِ لِلْقَضَاءِ عَلَيْهِمْ.[...] فَمَثَلَ دَانِيالُ أَمَامَ الْمَلِكِ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَمْنَحَهُ وَقْتاً فَيُطْلِعُهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْحُلْمِ».

إنّ المُتأمّل في جواب السّحرة والمُنجّمين والحُكماء على طلب نبو خد ناصر، يدرك أنّهم جعلوا حدودا بين مجالات العلم، فثمّة علم لا يرتقي إليه البشر، وهو بالضّرورة العلم الإلهيّ الّذي يمثّله النّبي دانيال.

ما قام به جنود الملك نبو خد ناصر من إلقاء القبض على دانيال، باعتباره حكيما أو ساحرا دال على التشابه القائم بين مُؤسّسة النّبوّة ومؤسسة السّحر في التّصوّر البابليّ، فهل معنى ذلك أنّ البابليين لم يعرفوا ظاهرة النّبوّة[91]، ولذلك لم يستطيعوا التّمييز بين النّبي والسّاحر؟ أم إنّ السّاحر البابليّ قد نهض بما نهض به النّبي اليهوديّ؟ أم إنّ النّبي البابليّ له مواصفات تختلف عن ماهيّة النّبي اليهودي؟

وفي هذا السياق، نشير إلى أنّ مُؤلّف «سفر دانيال» قد حرص على اعتبار تفسيرات دانيال صادرة عن «ملاك الرّبّ»[92]، فالنبي نجح لأنّه استند إلى الرب الإله[93]، في حين فشل السّاحر البابلي؛ لأنّه تقرّب لآلهته الكاذبة.

إنّ مواجهة النّبي للسّاحر حدّدت ماهية المنظومتين المعرفيتين، ووضّحت القواسم المشتركة بينهما، وبيّنت منزلة أنبياء بني إسرائيل في بلاد السّبي، على أنّ النّبي لم ينهض في الحوادث الأربع بدور واحد، وكذا الشّأن بالنّسبة إلى السّاحر، فموسى بمجرد إتيانه المعجزات تنزل الكوارث بالمصريين المُعادين له، وهو في ذلك كان المُخلّص لشعب الله، في حين اقتصر دور النبي في بقيّة القصص على تفسير الأحلام ومساعدة الملوك، فيوسف ودانيال ظهرا على مسرح الأحداث بعد فشل السّحرة والحكماء، وقد تركّز

91 أشار مبروك (علي): النبوّة من علم العقائد إلى فلسفة التاريخ محاولة في إعادة بناء العقائد، دار التنوير، ط1، بيروت لبنان، 1993، الفصل الثاني من ص55 إلى ص 82 إلى وجود ظاهرة النّبوة في بلاد مصر وفي بلادالإغريق....

92 أنظر الأصحاح الثامن من السّفر.

93 لقد أقرّ الثلاثة (يوسف، موسى، دانيال) باستنادهم إلى إرادة الرّبّ الإله (التكوين16/41 والخروج 14/7-17 ودانيال 28/2 و45/2).

دورهما على فكّ شبكة الرّموز الّتي تضمنتها رؤى الملوك وأصحاب السلطان في البلاد السابية. أمّا السّاحر، فكان العالِم الّذي زعم بأنّه الوحيد القادر على تبصّر الأشياء وإدراك ما استغلق من الأمور.

سعى مدونو أسفار «العهد القديم» إلى الفصل بين النّبي الصّادق والنّبي الكذّاب من جهة، وضرورة التّمييز بين النّبي والسّاحر من جهة أخرى؛ ففي ما يتعلّق بالجانب الأوّل ثمّة آيات عديدة حدّدت وجوه الاختلاف بين النّبيين، فالكاذب من دعا إلى عبادة الأوثان بدلا من عبادة الرّبّ الإله، وهو من لم تتحقّق رؤاه، ففي التّثنية 22/18 نقرأ: «إِنَّ كُلَّ مَا يَتَنَبَّأُ بِهِ النَّبِيُّ بِاسْمِ الرَّبِّ وَلاَ يَتَحَقَّقُ يَكُونُ ادِّعَاءً مِنْهُ لَمْ يَنْطِقْ بِهِ الرَّبُّ، بَلْ بِطُغْيَانٍ تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ فَلاَ تَخَفْ مِنْهُ». أمّا الصّادق فمن دعا إلى عبادة الرّبّ الإله دون غيره، وهو من تحقّقت رؤاه، وهو من كان الرّبّ إلى جواره يشدّ من أزره وينصره على السّحرة والأقوام المُعادية له.[94]

إنّ «العهد القديم» لم يهتم بطرائق السّحر وتقنيّاته[95]، وهو ما يُوحي بأنّ رغبة كُتّاب «العهد القديم» تتمثّل في محاربة مظاهر السّحر والحدّ من انتشاره بالدّرجة الأولى، ومن أبرز مظاهر محاربة السحر اعتباره سمة من سمات الآخر (مصر، بابل).

النّبوّة والنّظم المعرفيّة في العهد الجديد

عُدّ يسوع قطب الرّحى في الخطاب الإنجيليّ، فهو ابن الله وابن الإنسان، وهو أحد الأقانيم الثّلاثة، وهو كائن عجيب شأن الآلهة القديمة، فهو من لاهوت وناسوت مُتكوّن.

إنّ الصّورة المُعقدّة التي أنشأها الخطاب الإنجيليّ للمسيح ألقت بظلّها على سائر المقولات اللاّهوتيّة من جهة، ومن جهة أخرى جعلت من تمثّل ماهيات المنظومات المعرفيّة السّائدة آنذاك مسألة عسيرة، إذ ركّز «العهد الجديد» على جملة من المُؤسّسات دون أخرى، وأهمها مُؤسّسة الكهانة ومُؤسّسة النّبوّة ومُؤسّسة السّحر، وهي مُؤسّسات ألفينا «العهد القديم» قد أفاض في بيان خصائصها. ممّا يدفعنا إلى التّساؤل عن صلة هذه المُؤسّسات الإنجيليّة بالمُؤسسات المذكورة في «العهد القديم».

فهل استحضر النص الإنجيلي تلك المُؤسسات على النّحو الّذي أقرّته الرّؤية اليهوديّة، أم إنّ النّصوص الإنجيليّة عمدت إلى إعادة تأسيس ماهيّة تلك المُؤسّسات بما يتماشى ومقولاتها اللاّهوتيّة وبما تقتضيه الوقائع التّاريخيّة الخاصة بالجماعة المسيحيّة؟ وإنْ صحّ أنّه قد تمّ إعادة تأسيس ماهيّات تلك المُؤسّسات، فما هي

94 إشعياء44/24-25 وإرميا17/8

95 حزقيال 13/17-23

أهمّ مظاهر ذلك وتجلّياته؟ وما هي أهمّ البواعث الّتي دفعت بمُؤلّفي «العهد الجديد» إلى القيام بهذا العمل؟ وما هي أهمّ النّتائج المُترتّبة على ذلك؟ وما هي أهمّ الإشكاليات الّتي يثيرها النّصّ الإنجيليّ في هذا المجال في جوانبه الكتابيّة والتّاريخيّة؟

1: النّبوّة والنّظم المعرفيّة الرّسميّة

أ: الكهانة في العهد الجديد

دل اسم «كاهن» في «العهد الجديد» على الوظيفة الدّينيّة والاجتماعيّة المعروفة لدى اليهود حينا، وعلى المسيح يسوع حينا آخر. وقد اختزلت الدّلالة الثّانية وجوه الطّرافة في الخطاب الإنجيليّ وخروجه عن المُتداول في الأوساط الدينية اليهودية، فلقد نُعت المسيح بـ «الكاهن الأعظم»[96]، و«الكاهن الأعظم» ليس من يُقدّم القربان، بل هو الفدية والقربان والمُخلّص.[97] أمّا هيكله فهو في السّماء، وقد وضّح مدوّن رسالة إلى العبرانيين ما كان عليه الكهّان قبل المسيح، بقوله: «إِنَّ الْكَاهِنَ الأَعْلَى كَانَ يُؤْخَذُ مِنْ بَينِ النَّاسِ، وَيُعَيَّنُ لِلْقِيَامِ بِمُهِمَّتِهِ نِيَابَةً عَنْهُمْ فِي مَا يَخُصّ عَلاَقَتَهُمْ بِاللهِ. وَذَلِكَ لِكَيْ يَرْفَعَ إِلَى اللهِ التَّقْدِمَاتِ وَالذَّبَائِحَ، تَكْفِيراً عَنِ الْخَطَايَا. وَلِكَوْنِهِ، هُوَ أَيضاً، مُعَرَّضاً لِلضَّعْفِ الْبَشَرِيّ دَائِماً، كَانَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَعْطِفَ عَلَى الْجُهَّالِ وَالضَّالّينَ. وَبِسَبَبِ ضَعْفِهِ، كَانَ مِنْ وَاجِبِهِ أَيضاً أَنْ يُكَفِّرَ عَنْ خَطَايَاهُ الْخَاصَّةِ كَمَا يُكَفِّرُ عَنْ خَطَايَا الآخَرِينَ.»[98]

إنّ من أهم وجوه الاختلاف بين «الكاهن القديم» و«الكاهن الجديد» أنّ الأول كان مُتّسما بالنّقصان، في حين كان الثّاني مُتّسما بالكمال؛ فكلّ واحد منهما مثّل شريعة معينة، ومن المعلوم أنّه «حِينَ يَحْدُثُ أَيُّ تَغَيُّرٍ فِي الْكَهَنُوتِ، فَمِنَ الضَّرُورِيّ أَنْ يُقَابِلَهُ تَغَيُّرٌ مُمَاثِلٌ فِي شَرِيعَةِ الْكَهَنُوتِ. فَالْمَسِيحُ، رَئِيسُ كَهَنَتِنَا، لَمْ يَكُنْ مِنْ سِبْطِ لاَوِي الّذي كَانَ كَهَنَةُ الْيَهُودِ يَتَحَدَّرُونَ مِنْهُ».[99]

استبدل «العهد الجديد» الهيكل الأرضيّ بهيكل سماويّ، وجعل الكاهن قربانا بعد أنْ كان المُشرف على تقديم القرابين، وجاء سبط يهودا[100] بدلا من سبط لاوي، وألغى نهائيّا المعنى المألوف للكهانة، ولاسيما بعد صلب المسيح، على أنّ التّجربة التّاريخيّة للعقيدة المسيحيّة قد عمدت إلى إحياء الطّرح القديم لمُؤسّسة الكهانة من خلال مُؤسّسة الكنيسة التي حلّ فيها البابا مقام الكاهن والله.

---

96 العبرانيين 14/4

97 العبرانيين 12-11/9

98 العبرانيين 3-1/5

99 العبرانيين 12-11/7

100 نشير في هذا المجال إلى أنّ المسيح من سبط يهوذا.

ب: النّبي في العهد الجديد

ذُكر اسم «النّبي» في عشرين آية من «العهد الجديد»، وقد جاء الاسم في صيغة الجمع «أنبياء» في أغلب المواضع، وقد أحال الاسم على أنبياء بني إسرائيل في أغلب الأحيان.[101]

بيد أنّ ما يلفت الانتباه أنّ مُؤلّف 2 بطرس 1/2 قد سوّى بين الأنبياء الدّجّالين الّذين عرفهم اليهود سابقا والمُعلّمين الكذّابين المُعاصرين له، وهو ما يعني أنّ اسم «النّبيّ» له الدّلالات نفسها المُتعلّقة باسم «المُعلّم».

ونحن إذا ما تأملنا «العهد الجديد» وجدنا لفظ «المُعلّم» أُطلق فيه أيضا على المسيح[102] الّذي سُمِّيَ بأسماء أخرى مثل «السّيد»[103]، وفي المقابل، فإنّ اسم النّبيّ لم يُطلق في «العهد الجديد» على المسيح أو على «الكذّابين» الّذين زعموا النّبوّة فحسب، وإنّما نُسب أيضا إلى الإنسان، ولاسيما أتباع المسيح[104] الّذين سُمّوا بالرّسل؛ وذلك في مواضع عديدة من «العهد الجديد».

والملاحظ أنّ اسم «الرّسول» وفعل «أرسل» أحالا في الأناجيل على أطراف عديدة، نذكر منها[105] يسوع ويوحنّا المعمدان والأنبياء المُتفوّقين الكذّابين وتلاميذ يسوع وفي مقدمتهم بولس وبطرس.

ثمّة تداخل بين أسماء ثلاثة، هي «النّبيّ» و«الرّسول» و«المُعلّم»؛ فالنّبيّ هو الرّسول[106] والرّسول هو المُعلّم[107]، وما يزيد المسألة تعقيدا أنّ هذه الصّفات بعض ما وُصف به يسوع، ففي يوحنّا 28/11 ومرقس 21/11 ويوحنّا2/3 و1/9 نُعت بـ «المُعلّم». أمّا في البعض الآخر مثل يوحنّا 19/4 و14/6 و40/7 و17/9، فقد نُعت بـ «النّبيّ».

من الواضح أنّ الاسمين -«النّبيّ» و«الرّسول»- وُظّفا في الفترة الأولى للدّلالة على شيء واحد، على أنّ اسم الرّسول تعلّق بالتّلاميذ بصورة خاصة، في مرحلة لاحقة من تاريخ التّجربة الدّينيّة المسيحيّة، وقد

---

101 لوقا 70/1ومتّى 22/1وروما 2/1 وعبرانيين 1/1-1و بطرس10/1

102 يوحنّا 28/11 ومرقس 21/11 ويوحنّا 2/3 ويوحنّا 1/9

103 يوحنّا 19/4.

104 تيطس 12/1 وأعمال الرّسل 27/11-28 و1/13-8 و11/20

105 لوقا 18/4و يوحنّا 5/16 و8/17 ومتّى11/9-11 ويوحنّا28/3 و2 كورنثوس 5/11، يوحنّا 22/2 ومتّى10/ 5 وروما 1/1 و1 بطرس1/1

106 متّى 1/9-11 ويوحنّا 28/3

107 يوحنّا 3/26-28.

سعى مؤلّفو الأناجيل والرّسائل إلى تمييز المسيح من سائر الأنبياء السّابقين له، فخصّه التلاميذ بتسميّات منها الإله[108]، وابن الله[109]، وابن الإنسان[110]، والإنسان النّبيّ.[111]

ويعزى تعدّد الأسماء وتداخل دلالاتها في تقديرنا إلى طبيعة المسيح من جهة، وإلى الخلفيّات التي كانت تُحرّك كُتّاب الأناجيل من جهة ثانية، وإلى محاولتهم قراءة نهاية المسيح قراءة جديدة من جهة ثالثة[112]، فهذه التّسميّات راوحت بين الجانب الإلهيّ (اللاّهوت) والجانب الإنسانيّ في المسيح (النّاسوت) [113]، فكانت صورة يسوع في وعي أتباعه وضمائرهم صورة غير مألوفة تخرج عن السّائد في جميع المستويات، فهو نبيّ، ولكنّه ليس ككلّ الأنبياء السّابقين.

إنّ مدوّني «العهد الجديد» لم ينفوا مُقاسمة يسوع من سبقه من الأنبياء جملة من الخصائص والقيم، فهو يثور مثلهم على الأوضاع السّائدة، ويُخبر عن نهاية العالم على نحو ما فعل أنبياء ما قبل السبي وبعده.

وفي هذا المجال عمدت النّصوص الإنجيليّة إلى تصوير يسوع في صورة جعلت منه امتدادا للنّبوءات اليهوديّة وعلى وجه الدّقة النّبوّة الموسويّة، ففي متّى17/1-3: «أَخَذَ يَسُوعُ بُطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا أَخَاهُ، وَصَعِدَ بِهِمْ عَلَى انْفِرَادٍ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ، وَتَجَلَّى أَمَامَهُمْ، فَـشَعَّ وَجْهُهُ كَالشَّمْسِ، وَصَارَتْ ثِيَابُهُ بَيْضَاءَ كَالنُّورِ. وَإِذَا مُوسَى وَإِيلِيَّا قَدْ ظَهَرَا لَهُمْ يَتَحَدَّثَانِ مَعَهُ».[114]

بيد أنّ الأناجيل لم تنس أنْ تُميّز المسيح من أنبياء «العهد القديم» بأنْ جعلته يُحِلّ شريعة المحبّة بدلا من شريعة النّاموس[115]، وقد حرصت أيضا على تأكيد صلته المباشرة بالله وبقدرته على منح الغفران للخطاة[116]، فكان بذلك مبعوثا من الله[117]، لكنّه مبعوث خاص، فهو «ابن الله» وهو «الفادي» و«المخلّص» الّذي ليس بعده نبيّ.

108 يوحنّا 1/1.

109 متّى 15/16-16، وقد أشار هانس كونج إلى أنّ يسوع لم يطلق هذا الاسم على نفسه، بل أطلقه عليه التّلاميذ ولا نستبعد أنْ يكون ذلك بعد موته.
Küng (Hans): Le christianisme et les religions du monde, seuil, Paris, 1986; P170.

110 لوقا 8/12-10.

111 لوقا 10/24.

112 الشرفي (عبد المجيد): الفكر الإسلامي في الردّ على النصارى إلى نهاية القرن الرّابع/العاشر، الدّار التّونسيّة للنّشر والمؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر، ط1، تونس والجزائر، 1986، ص377.

113 أنظر فيما يتعلّق بمسألة اختلاف الفرق المسيحيّة في تحديد ماهيّة المسيح القرواشيّ (حسن): مدخل إلى تاريخ المسيحيّة، ط1، جامعة الزيتونة، تونس، 1998، ص 76 وما بعدها.

114 مرقس 9/2-10 ولوقا 9/28-36.

115 روما 2/12-15.

116 Voir Küng (Hans): Le christianisme et les religions du monde, (op cit), P170.

117 لوقا 4/18-20 ويوحنّا 5/16 ويوحنّا 17/23

إنّه لمن المفيد في هذا المجال، الإشارة إلى أنّ المسيح قد سَمَّى نفسه بـ «النّبيّ»، إذ نقرأ في متّى 57/13: «وَكَانُوا يَشُكُّونَ فِيهِ. أَمَّا هُوَ فَقَالَ لَهُمْ: لاَ يَكُونُ النَّبِيُّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي بَلْدَتِهِ وَبَيْتِهِ!».[118]

المسيح من هذا المنظور أعظم الأنبياء وأهمهم، فبه تمّ الخلاص، بل إنّ جميع النّبوّات السّابقة له لم تكن إلاّ تمهيدا لنبوّته[119]، وإعدادا لقدومه، من ذلك أنّ النّصوص الإنجيليّة قد أعادت قراءة جملة من آيات «العهد القديم» بما يتماشى مع هذا التّوجّه، فلقد رأى مُؤلّف أعمال الرّسل 37/7 أنّ: «مُوسَى هَذَا هُوَ الّذي قَالَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: سَيُقِيمُ اللهُ لَكُمْ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِكُمْ نَبِيّاً مِثْلِي.»[120]

عمد الفكر الإنجيليّ إلى ربط المسيح بسلسلة أنبياء بني إسرائيل من جهة، وجعله ينفصل عنهم من جهة ثانية، ولم ينس أيضا مؤلّف «أعمال الرسل» أنْ يبرز لنا صلة التّلاميذ بالمسيح من جهة ثالثة، فرغم صلب المسيح، فإنّ النّبوّة مُستمرّة من خلال «الرّوح القدس «الّذي بات يَقود الرّسل أمثال بطرس وأغابوس.[121]

سوّى كُتّاب أسفار»العهد الجديد» بين الرّسول والنّبيّ والمعلّم[122]، ويبدو من خلال النّصوص نفسها أنّ عبارة النّبيّ قد نُسبت إلى كلّ من اتصل بالرّوح القدس أو من كانت له معرفة بالغيب بواسطة الرؤيا، في حين نُسب اسم الرّسول إلى أتباع المسيح الّذين يقومون بالعمل الرّسوليّ (التّبشيريّ).

إنّنا لا نُخطئ السّبيل إذا ما قلنا إنّ نعت المسيح بالنّبيّ كان سمة مميزة للفترة الأولى من دعوته، وقد حافظ عليها مُدوّنو الأناجيل كي يُؤكّدوا صلة المسيح بالموروث اليهوديّ، فاليهود كانوا في شوق إلى ظهور نبيّ مخلّص؛ ذلك أنّ «الأسفار الرّؤيويّة» قد نشرت بينهم فكرا تفاؤليّا يقوم على الإخبار بقدوم المسيح المخلّص الّذي بات محلّ انتظار اليهود، ولاسيما في فترة ظهور يسوع، إذ كان يطمح أهل أورشليم للتحرر من الحكم الرّومانيّ.

ما يشدّ الانتباه في ما يتعلق بماهية النّبي أنّ شخوصا بارزة في العقيدة المسيحيّة لم يُطلق على أيّ واحد منها اسم «النّبيّ»، بما في ذلك يوحنّا المعمدان، ففي يوحنّا1/19-21: «حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْضَ الْكَهَنَةِ وَاللاَّوِيِّينَ يَسْأَلُونَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ، بَلْ أَكَّدَ قَائِلاً: لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. فَسَأَلُوهُ: مَاذَا إِذَنْ؟ هَلْ أَنْتَ إِيلِيَّا؟ قَالَ: لَسْتُ إِيَّاهُ!؛ أَوَ أَنْتَ النَّبِيُّ؟ فَأَجَابَ: لاَ!».

118 نشير إلى أنّ المسيح نُعت بالنّبيّ على لسان جماعة من النّاس (لوقا 19/24 ومتّى 14/16 ولوقا 16/7 ويوحنّا 19/44 ويوحنّا 17/9 ويوحنّا 21/1 ويوحنّا 14/6 ويوحنّا 40/7 والعبرانيين 1/1-3).

119 مقال "نبي" لأنيس صايغ ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 949

120 وردت الآية في "العهد القديم" في التثنية 18/15-18.

121 أعمال الرسل 11/20

122 أعمال الرسل 1/13 و32/15

إنّ نفي «يوحنّا المعمدان» عن نفسه أنّ يكون المسيح أو أنْ يكون نبيّا يعبّر عن رغبة مدوّني الأناجيل في جعل مسرح الأحداث مُهيّأ للمسيح دون غيره، فنحن لا نعثر ليوحنّا المعمدان على أعمال باستثناء تبشيره بقدوم المسيح وتعميده له[123]، وما عدا ذلك، فإنّ يوحنا يغيب عن الأحداث غيابا شبه تام، وقد لاذ مُدوّنو «العهد الجديد» في هذا الجانب بالصّمت.

شهدت ماهيّة النّبوّة تحوّلا جوهريّا في النّصوص الإنجيليّة عمّا كانت عليه في نصوص «العهد القديم»، فلئن كان الأنبياء السّابقون وفق التّصوّر الإنجيليّ قد مهّدوا لقدوم المسيح، فإنّ دور الرّسل اللاحقين تعميد العالم[124] والتّبشير بعودة المسيح، ولكنْ ما يظل محيرا في ما يتعلّق بالأنبياء الكذّابين أنّ دعواتهم قد لقيت صدًى طيّبا لدى شرائح عديدة من اليهود، ففي الإصحاح الخامس من «أعمال الرّسل» إشارات إلى نجاح الأنبياء الكذّابين في استمالة اليهود.[125]

ج: الجامع بين الرّسول والنّبي في العهد الجديد

سوّت نصوص»العهد القديم» بين النّبيّ والرّسول بطريقة غير مباشرة؛ فبالرغم من أنّه لم تستخدم عبارة الرّسول في نعت الأنبياء، فإنّ فعل «أُرسِل، أُرسِلك» قد وُظّفا بدلا من الاسم «الرّسول»، وهو ما يُوحي بانصهار مفهوم «الرّسالة» في مفهوم «النّبوّة»، على أنّ هذه المسألة قد اتّخذت دلالات مغايرة في «العهد الجديد»، ولا سيما في الرّسائل، فلئن سُمّي التّلاميذ بالرّسل فقد سُمّوا أيضا بالأنبياء وبالمُعلّمين، في حين نهض التّلاميذ بأدوار تختلف عن الأدوار التي نهض بها أنبياء بني اسرائيل.

ولا يفوتنا في هذا السياق، الإشارة إلى أنّ الرسالة الأولى إلى مؤمني كورنيثوس في الآية الثامنة والعشرين من الأصحاح الثاني عشر أشارت إلى وجود اختلاف في ماهيات تلك الأسماء، إذ «رَتَّبَ اللهُ فِي الْكَنِيسَةِ أَشْخَاصاً مَخْصُوصِينَ: أَوَّلاً الرُّسُلَ، ثَانِياً الأَنْبِيَاءَ، ثَالِثاً الْمُعَلِّمِينَ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَصْحَابَ الْمَوَاهِبِ الْمُعْجِزِيَّةِ أَوْ مَوَاهِبِ الشِّفَاءِ أَوْ إِعَانَةِ الآخَرِينَ أَوْ تَدْبِيرِ الشُّؤُونِ أَوِ التَّكَلُّمِ بِاللُّغَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ.»

قدّمت هذه الآية تصوّرا جديدا لصلة النّبيّ بالرّسول وبالمعلّم، فهي رُتب متباعدة داخل الكنيسة، على أنّ مدوّن الرّسالة قد أثار سؤالا حول الفروق بين هذه المُؤسسات[126]، وهو ما يُوحي بأنّ هذه الفروق كانت غير موجودة حقيقة، بل هي مُصطنعة من قبل البعض.

123 يوحنّا 3/22-36

124 متّى 28/19-20

125 لاسيما مع ثوادسTheudasويهوذاJudas الجليلي.

126 1كورنيثوس 12/29

حاول باروخ سبينوزا Baruch Spinoza (1632م-1677م) إعادة النظر في هذه المسألة في كتابه «رسالة في اللاّهوت والسّياسة» في الفصل الحادي عشر، وقد اعتمد المقارنة بين «النّبيّ» و«الرّسول» انطلاقا من أعمال الرّسول بولس، وقد انتهى سبينوزا إلى جملة من الفروق، نسوق أهمها في الثبت الآتي:

الشخص	ماهية الخطاب	مصدر المعرفة	الصّلة بالله	الغاية	ماهية الحقيقة
النّبيّ	الوحي	الله	التّكليف الإلهي	الإعلام والإخبار	اليقين
الرّسول	الإلهام Inspiration	الذّات	تطوّع تلقائيّ	الاحتجاج	الظّن

ثبت الفروق بين النّبيّ والرّسول في تصوّر سبينوزا

إنّ تحاليل سبينوزا على ما فيها من دقّة الملاحظة، تظل في تقديرنا محاولة غير قادرة على الإلمام بالفوارق بين «النبي» و«الرسول»؛ ذلك أنّ سبينوزا انطلق من مصادرة مدارها أنّ «روح الله»الّذي تحدّث عنه تلاميذ يسوع هي أفكارهم وآراؤهم الشّخصيّة، ولا تعني بالضّرورة الإحالة على الله، واعتبر سبينوزا هذه المُصادرة مُسلّمة لا يطولها الشّكّ، في حين أنّ بعض الرسائل الإنجيلية أحالت على «روح الله» بوضوح، في حين وجدنا أغلب المواضع الإنجيلية تحيل على «الرّوح القدس»[127]، وهو روح ثابت المفهوم لا يقبل بأيّ شكل من الأشكال التأويلات التي قدّمها سبينوزا؛ فمن الواضح أنّ دور الرّسول (التّلميذ) في الرّسائل كان يقع في منطقة وسطى بين دور الله (المسيح) ودور سائر الأنبياء الّذين ورد ذكرهم في «العهد القديم».

2: الرّسول والنّظم المعرفيّة غير الرّسميّة

أ: الرّسول والمنجم والعرّاف

اتّخذ «الإنجيل» من المُنجّمين موقفا إيجابيّا، إذ أشار «إنجيل متّى» في الأصحاح الثاني إلى دور المُنجميّن في الإعلان عن قدوم المسيح، فهُم على صلة بالله الّذي أوحى إليهم بقدوم المسيح إلى الدنيا عن طريق الحلم.[128]

127 نقرأ في مقال "الروح القدس" لمرقس داود ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 414 أنّ "روح الله" و"روح القدس" واحد، أمّا نجيب (أنطنيوس): معجم اللاهوت الكتابيّ، (سبق ذكره)، ص385 فيشير إلى أنّ مفهوم "الروح" مع بولس قد كان مفهوما غامضا، فلا ندري أ هو روح بالمعنى الإلهي أم بالمعنى الإنساني.

128 متّى 12-1/2

إنّ التّنجيم وفق هذا التّصوّر معرفة علميّة لا صلة لها بضروب المعرفة الأخرى (السّحر، العرافة)، فأفعال المُنجّمين قائمة على تتبع حركة النّجوم وتفاعل عناصر الكون مع بعضها البعض، وهي عناصر- وفق الرؤية الإنجيلية-خاضعة لإرادة خارجيّة هي إرادة الله، وفي المقابل، فإنّ الموقف الإنجيلي من العرّاف والساحر كان مُتشددا، إذ حارب الرّسل جميع مظاهر الإيمان بالعرّاف والساحر، ففي ما يتعلق بالعرّافين، ذُكر في «أعمال الرسل» أنّ بولس أخرج روحا نجسا سكن عرّافة، وقد حرص الخبر على نقل بعض أقوال الرّوح النّجس الّذي بيّن صلة بولس بيسوع، بقوله: «هَؤُلاَءِ[...]هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ، يُعْلِنُونَ لَكُمْ طَرِيقَ الْخَلاَصِ»[129]، وقد تمّ طرد الرّوح من جسد العرّافة باسم يسوع.

إنّ جعل الرّوح يسكن عرّافة أمر له دلالات خاصة بالثقافة المسيهودية الّتي راوحت بين تقدير العرافين وذمّهم واعتبارهم «أبناء الشّيطان». فمن هذا المنطلق، فإنّ قدرة بولس على إخراج الرّوح من جسد العرّافة إقرار ضمنيّ بانتصاره (بولس) على الشّيطان.

نهض هذا الحدث بدور رئيس في نشر الدّيانة المسيحيّة، وكسب المؤمنين وتحقيق كلمة الله يسوع، فقدرة بولس على طرد الأرواح الشّريرة من الأجساد على صلة بما أعطاه يسوع لتلاميذه جميعا من قدرات وما وهبهم من روح.[130]

وبناء على ذلك، فإنّ إخراج الأرواح النجسة من الأجساد دال على انتماء هذا الرسول أو ذاك إلى المسيح من جهة، ومن جهة أخرى عدّ ذلك شكلا من أشكال الطّهارة شأن الشّفاء من المرض[131]، على أنّ مغادرة الرّوح للجسم حدث له دلالات رمزية دالة على انتهاء الدين القديم وميلاد الدين الجديد؛ فالرّوح الجديد الّذي حلّ في جسم الميّت، هو روح الله.

ب: الرّسول والسّاحر[132] (النّبيّ الكذّاب) [133]

اتّخذ»العهد الجديد»موقفا رافضا من السّحر وصُنّاعه، وقد ورد الموقف الإنجيلي في ثنايا الحديث عن رحلات الرّسل في سبيل نشر البشارة، وقد اقتصر ذكر السحر والسحرة على رسالتين، هما «رسالة

129 أعمال الرسل 16/17

130 متّى 10/2

131 إنّ أسفار التوراة نظرت إلى المشلول والأصم والمجنون نظرة سلبيّة، فهم مسكونون بروح خبيث، ولا يجب أنْ يُسمح لهؤلاء المرضى بالبقاء بين الشّعب، بل حجّر عليهم أيضا دخول قدس الأقداس.

132 لقد عمد مُؤلف «أعمال الرّسل إلى التّسوية بين السّاحر والنّبيّ الدّجال» (أعمال الرّسل 6/13).

133 نشير في هذا السياق إلى أنّ صفة "الكذّاب" قد وردت في "العهد الجديد" مسبوقة بأسماء تحيلنا على الوظائف أو المُؤسّسات الدّينيّة الآتيّة: الرّسل (الرّؤيا2/2) والأنبياء (2 بطرس 1/2-3) والمسحاء (متّى 24/24) والمُعلّم (2 بطرس 3/2-1) والإخوة (غلاطية 4/2).

إلى مُؤمني غلاطية» و«أعمال الرّسل»؛ ففي الرسالة الأولى ذُكر السّحر في موضعين[134] توجّه في الأوّل الرّسول بُولس بالخطاب إلى أهل غلاطية قائلا: «يَا أَهْلَ غَلاَطِيَّةَ الأَغْبِيَاءَ!مَنْ سَحَرَ عُقُولَكُمْ، أَنْتُمُ الّذينَ قَدْ رُسِمَ أَمَامَ أَعْيُنِكُمْ يَسُوعُ الْمَسِيحُ وَهُوَ مَصْلُوبٌ؟».أمّا الموضع الثّاني ففيه تعريف للسّحر بكونه مرادفا للجسد رمز الخطيئة، إذ أكّد الرّسول بُولس في الآيات الممتدة من الآية التّاسعة عشرة إلى الآية الحادية والعشرين من الأصحاح الخامس أنّ السّحر شرّ شأن عبادة الأصنام والزّنا والحسد، بقوله: «أَمَّا أَعْمَالُ الْجَسَدِ فَظَاهِرَةٌ، وَهِيَ: الزِّنَى وَالنَّجَاسَةُ وَالدَّعَارَةُ، وَعِبَادَةُ الأَصْنَامِ وَالسِّحْرُ والْعَدَاوَةُ وَالنِّزَاعُ وَالْغَيْرَةُ وَالْغَضَبُ، وَالتَّحَزُّبُ وَالانْقِسَامُ وَالتَّعَصُّبُ، وَالْحَسَدُ وَالسُّكْرُ وَالْعَرْبَدَةُ، وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ».

إنّ السحر المشار إليه في الموضع الأوّل من «رسالة إلى مُؤمني غلاطية» يحيل على دلالات غير مألوفة مدارها صرف النّاس عن الحقّ، وهي دلالة على صلة وطيدة بالظّروف الحافة بنشأة الرّسالة، إذ ذهب أنيس صايغ في مقال»غلاطية»ضمن «قاموس الكتاب المقدّس»إلى أنّ الرّسالة قد دُوّنت في الفترة المُمتدة بين سنتيْ خمس وخمسين وسبع وخمسين من ميلاد المسيح، وقد كتبها الرّسول بولس بعد أنْ «ترامى إليه أنّ بعض مُعلّمي التّعاليم المُغايرة [...] أخذوا يُفسدون عقول الشّعب ويُغالطون بولس عن خطإ ويدعون إلى التّمسك بالتّقاليد الموسويّة القديمة».[135]

تندرج الرّسالة ضمن سياق حجاجيّ حاول من خلاله الرّسول بولس تأكيد سلامة التّعاليم التي يدعو إليها مقابل بطلان التّعاليم المُغايرة؛ معنى ذلك أنّ السّحر المذكُور في الرّسالة لا يُقصد به تلك الممارسات التي تروم التحكم في الأحداث والكائنات والأشياء بالتأثير فيها وجعلها تخضع لإرادة الساحر، بل إنّ المُقصود بالسحر مُغالطة النّاس، وخلط الأمور عليهم؛ فبولس نعت خصومه من مُعلّمي التّعاليم المُغايرة بالسحرة بالنظر إلى كون كلّ واحد من الفريقين كاذب يعمد إلى خلط الأمور على النّاس قصد تضليلهم وإفساد علاقتهم بالرّبّ.

أمّا المواضع المتبقية الواردة في «أعمال الرّسل»، فإنّها احتوت على مُواجهات ثلاث بين بعض الرّسل والسّحرة، إذ واجه فيلِبُّس Philip وبُطْرُس Peter وَيُوحَنَّا John في السّامرة الساحر سيمون Simon[136]،

134 غلاطية 1/3 و5/19-21

135 مقال "غلاطية" لأنيس صايغ ضمن قاموس الكتاب المقدّس، (سبق ذكره)، ص 661

136 أعمال الرّسل 8/4-25

وأذلّ برنابا Barnabas وشاول Saul / بولس Paul في قبرص بَارْيَشُوع Bar-Jesus[137]، وأفحم بُولس في أفسس أبناء سكاوا Sceva الّذين تحدّوه.[138]

إنّ المتأمل في تلك المواجهات، يلفت انتباهه أنّ جميعها انتهت بانتصار الرّسل وفشل السّحرة، بيد أنّها اختلفت في بنائها؛ ففي الخبر الأوّل اعتقد أهل السّامرة أنّ للسّاحر سِيمُون: «قُدْرَةَ اللهِ الْعُظْمَى!»، فهو عندهم نبيّ؛ إذ لاقى سحر سيمون استحسان النّاس إلى درجة دفعت بالبعض إلى اعتباره المسيح»[139]، بل إنّ تعاليمه مثّلت توجّها فكريّا له أتباعه ومناصروه ومنظّروه.[140]

وقد ذُكر في «أعمال الرسل» أنّ أهل السامرة -بما في ذلك سيمون- آمنوا بالرسل بعد أنْ أتى فِيلِبُّس أمامهم بمعجزات حسيّة عديدة.

إنّ ما قام به الرسول فِيلِبُّس يطرح سؤالا مهمّا يتعلّق بصلة الرّسول بالمسيح؛ ذلك أنّ أفعال الرسول تشابه إلى حدّ كبير المعجزات التي أتاها المسيح، فهل معنى ذلك أنّ الرّسول حلّ محلّ الله (المسيح)، ولاسيما أنّ قدرة الرسول على إفحام الساحر -في جميع المواجهات- تكون بعد حلول «الرّوح القدس» عليه[141]، وهل يعني ذلك أنّ مسيرة المسيح في الدّنيا كانت بمنزلة تدريب أو بيان للمسلك القويم الّذي يجب أنْ يهتدي به الرّسلُ.

أمّا في ما يتعلّق بمواجهة كل من برنابا وشاول (بولس) في قبرص للساحر «بَارْيَشُوع»، فإنّها تميزت باعتماد العنف، إذ فَقَدَ الساحر البصر على نحو ما أنبأ به بُولُس، وذلك بسبب تكذيب الساحر الرسولين وإصراره على مواجهتهما.

لقد ركّز مُؤلّف الرسالة في سرده لأطوار المواجهة على الدور الذي نهض به «الرُّوحِ الْقُدُسِ»، فمَا منْ فعل أتاه بولس إلاّ كان بتوجيه منه من جهة، ومن جهة أخرى، فإنّ ممارسة السّحر من شأنها «تَعْوِيجُ طُرُقِ الرَّبِّ الْمُسْتَقِيمَةِ؟»، على أنّ ثمة فارقا آخر قوامه أنّ الأفعال في المُواجهة الثانية قام بها رسول واحد، وهو بولس رغم اعتبار «أعمال الرسل» برنابا شريكا لبولس في هذه البشارة، في حين كان القائم بالأفعال في المواجهة الأولى رسولان هما بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا.

---

137 أعمال الرسل 13/4-12

138 أعمال الرسل 19/13-20

139أنظر مقال "سيمون" للبيب مشرقي ومنيس عبد النّور ضمن "قاموس الكتاب المقدّس"، (سبق ذكره)، ص 497

140 بدوي (عبد الرحمان): ملحق موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت لبنان، 1996، ص 230

141 أعمال الرسل 2/13 و9/13

إنّ هذا الأمر يبيّن نزعة "العهد الجديد" إلى المُفاضلة بين الرّسل، وهو تصوّر ألفيناه حاضرا بقوّة في المُواجهة الثالثة التي أفحم فيها بُولس سحرة أفسس، وقد أصرّ الخبر على إبراز دور بولس في نشر البشارة بين الأمم من جهة، ومن جهة أخرى خصّه الخبر بقدرات تشبه إلى حدّ كبير قدرات المسيح، ولا غرابة أنْ يحظى بولس بأعلى المراتب، وهو الّذي يُعدّ المُؤسّس الحقيقيّ للدّيانة المسيحيّة.

لقد أشارت المُواجهة الثّانية إلى ادعاء السّاحر النّبوّة كذبا، في حين عدّت المُواجهة الأولى السّحر عملا شريرا يتنافى مع الإيمان الصّادق بمعموديّة المسيح وألوهيته، فالسّاحر سيمون أقرّ في النهاية بضعفه، وتلك سمة يتّصف بها المُؤمنون، إذ طلب سِيمون من الرّسولين الصّلاة لأجله، قائلا: «صَلِّيَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي حَتَّى لاَ يَنْزِلَ بِي شَيْءٌ مِمَّا تُشِيرَانِ إِلَيْهِ»، في حين ظل موقف بَارْيَشُوع ثابتا لم يتغيّر، إذ كان مُعاندا جاحدا.

لقد حرص مدوّنو «العهد الجديد» على إبراز الفوارق القائمة بين «النّبيّ الصّادق» و«النّبيّ الكاذب» بأنْ جعلوا الإيمان بالمسيح معيارا.[142]

خاتـمـة

بيّنا في العنصر الأول، أنّ النّبوّة في «العهد القديم» قد تأثّرت بجملة من المعطيات الاجتماعيّة والسياسية والثقافية، إذ كانت النّبوّة متّصلة اتّصالا متفاوت الدرجات بجملة من المُؤسّسات السّياسيّة والدّينيّة والمعرفيّة؛ وذلك باختلاف الأزمنة والأحداث السّياسيّة.

وقد بحثنا في تأثير العوامل الاجتماعية والسياسية والمعرفية والثقافية في النّبوّة وماهيتها، وذلك من خلال النظر في ماهية المُؤسّسات الدّينيّة والمعرفيّة الموازية للنّبوّة، وصنّفناها صنفين، وسمنا الأوّل بـ «المُؤسّسات الرّسميّة» مُمثّلة في مُؤسّستي النّبوّة والكهانة، باعتبارهما مُؤسّستين دينيّتين كتابيّتين، أمّا الصّنف الثّاني، فوسمناه بـ «المُؤسّسات غير الرّسميّة» مثل السّحر والعِرافة.

وانتهينا إلى أنّ ثمّة وجوه تقارب عديدة بين تلك المُؤسّسات غير القانونيّة في ما بينها من جهة، وفي ما بينها وبين مُؤسّسة النّبوّة من جهة أخرى، فنصوص «العهد القديم» اعتمدت تسميّات مختلفة في نعتها للقائمين على شؤون النظام المعرفي الواحد، إذ تساوى السّاحر والنّبيّ الكذّاب والعرّاف، وبالكاد وجدنا حدا فاصلا بينهم وبين الأنبياء الصّادقين.

142 1 يوحنّا 1/4

إذ سعى «العهد القديم» إلى المساواة بين الأنبياء الكذّابين والسّحرة، فإذا الفرق بينهما كامن في الاسم لا في المُسمّى، على أنّ أطرف ما في الأمر أنّ المُواجهات العديدة الّتي كانت بين الأنبياء والسّحرة قد تمّت في أرض السّبي (مصر، بابل)، وقد كان فيها النّبيّ اليهوديّ في مُواجهة مع سحرة البلاد السّابيّة، على أنّ مفهوم المُواجهة لم يكن ثابتا أو سمة قارة، فمع يوسف ودانيال غابت المُواجهة، إذ كان موقف السّحرة من النّبيّ التّبجيل والتّقدير، في حين وجدنا المُواجهة حاضرة حضورا بيّنا في الأحداث التي دارت بين موسى وسحرة فرعون.

ويبدو أنّ اختيار «العهد القديم» لبلاد السّبي فضاءً تقع فيه تلك المُواجهات محكوم بخلفيّة ثقافيّة، إذ جاءت تلك المواجهات كيْ تُمهّد الطّريق لوقوع جملة من الأحداث (تولّي يوسف أمر مصر، الخروج من مصر، العودة من السّبي)، ولترفع من شأن الجماعة اليهوديّة (النّبيّ) إزاء الأمم والجماعات الإثنيّة الأخرى (السّاحر)، ولتلبي حاجة نفسيّة تعتمل في أعماق الفرد اليهوديّ، وما ترسّخ لديه من شعور بالتّفوّق، وقد أتت أيضا لتؤكّد انتصار الله لأنبيائه ولشعبه.

وقد وجدنا النّبيّ يُسمّى بـ «رجل الله» وبـ «الرّائيّ»، ممّا يدلّ على شدّة اتّصال النّبوّة بهذه الضّروب المعرفيّة، ويعود السّبب في هذا التّقاطع إلى طبيعة التّحوّلات الّتي عرفتها الجماعة اليهوديّة، إذ انتقلت من البداوة إلى المدينة (المملكة)، وتبيّن لنا أنّ النّبوّة في التّصوّر اليهوديّ منظومة معرفية تقوم على الكسب حينا، وعلى الاصطفاء حينا آخر. على أنّ الأمرين اجتمعا في ما عُرف بمدارس «أبناء الأنبياء» الّتي كانت تُعِدُّ الأنبياء في الجانب الرّوحيّ والنّفسيّ، ففي تلك المدارس كانوا يتعلّمون الغناء والشّعر إلى جانب التّقشّف والتّنسّك، ليتمّ في مرحلة لاحقة اصطفاء بعضهم، فالشّعر والغناء والموسيقى من مقوّمات النبوّة وسائر المُمارسات الدّينيّة، وذهبنا إلى اعتبار ذلك شكلا من أشكال التّجليّ والبحث عن الصّفاء، وهي حالة نفسيّة روحيّة سعى إليها النّبيّ قصد التّواصل مع عالم الغيب.

إنّ تصوّر «العهد القديم» للنّبوّة تجاوز النّظر في البعد التّواصليّ الّذي تمّ بين النّبي وعالم الغيب، إلى النّظر في طرق التّواصل ومقتضياته؛ فلقد كان النّبيّ إليشاع يستعين بالموسيقى في نبوءاته، ممّا يقيم الدّليل على أنّ النّبوّة حالة نفسيّة تتطلّب الاستعداد والتّهيّؤ، وهي بذلك تعبير صادق عكس أهمية القوّة المُتخيّلة في تحقيق التّواصل بين عالميْ الله والبشر، فإذا النّبوّة فضاء خصب للخيال.[143]

لقد كانت شخصيّة النّبي على درجة كبيرة من التّداخل بشخصيّات أخرى مثل السّاحر والعرّاف والنّبي الكذّاب والكاهن، على أنّه يمكن التّمييز بين نوعين من هذا التّداخل، فالنوع الأوّل تعلّق بصلة النّبي بالكهان،

143 أنظر باروخ (سبينوزا): رسالة في اللاّهوت والسّياسيّة، (سبق ذكره)، ص143

أما النّوع الثّاني فمداره على صلة النّبي بالسّاحر وبالنّبي الكذّاب؛ فالأوّل اتّصل بمُؤسّستين دينيّتين رسميتيّن، في حين قام الثاني على مقابلة بين مُؤسّسة رسميّة هي النّبوّة ومُؤسّسات غير رسميّة مثل السّحر والعِرافة.

وبيّنا أنّ اتّخاذ «العهد القديم» موقفا صارما من الأنبياء الكذّابين مأتاه ما كان لهم من نفوذ زعزع السّلطة الرّوحيّة للأنبياء الحقيقيّين، فكان نجاح النّبوّة أو فشلها مرتبطين بالظّروف السّياسيّة وبمدى استجابة دعوات الأنبياء إلى طموحات الجماعة اليهوديّة وآمالها، وهو ما نجح في تحقيقه الأنبياء الكذّابون[144]، وفشل فيه الأنبياء الصّادقون. أمّا العنصر الثّاني، ففيه بيّنا وجوه التقارب بين «العهد القديم» و«العهد الجديد» الّذي استعار من النص اليهودي جملة من المقولات والمُؤسّسات المعرفيّة مثل الكهانة والنّبوّة، بيد أنّه عمد إلى إفراغها من محتوياتها الفكريّة والدّينيّة القديمة وشحنها بدلالات ومفاهيم جديدة، فتحوّل الكاهن من وسيط يسهر على سلامة الطّقس القربانيّ إلى قربان، على أنّ القربان الّذي حدّثنا عنه «العهد الجديد» هو قربان واحد لا قربان بعده، وهو المسيح يسوع «ابن الله»، فكان من تبعات ذلك أنْ انتفت مُؤسّسة الكهانة وطُمست ملامحها القديمة، واضمحلت وزالت بزوال القربان الحيوانيّ، وبات الابن هو الكاهن الأعظم[145]، ولم يعد دور الكاهن مُتعلّقا بالشّريعة ومراسم الكفّارة وطقسها، بل أضحى دوره نشر شريعة المحبّة والتّبشير بالملكوت.

إنّ المعالجة الإنجيليّة في هذا المجال ظلّت محكومة بمرجعيتين مُتباينتين، إذ سعت نصوص "العهد الجديد" إلى توطيد صلة يسوع بالمرجعيّة التّوراتيّة من جهة، وإرساء شريعة المحبّة بدلا من شريعة النّاموس من جهة أخرى.

ولعلّ الأمر الأوّل كان تعبيرا صادقا عن حاجة تاريخيّة كانت عليها الجماعة المسيحيّة، وفي هذا المجال يمكن اعتبار مُؤسّسة الكنيسة امتدادا لمُؤسّسة الكهانة اليهوديّة، بيد أنّ ما فصل بينهما أنّ الكهانة مُؤسّسة كتابيّة في حين كانت الكنيسة مُؤسّسة تاريخيّة.. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الأولى قامت في تناغم مع مُؤسّسة النّبوّة، في حين كانت الثّانيّة استمرارا للمسيح ورسله[146]، باعتبار «المسيح الرّأس والكنيسة جسده».[147]

144 نُذكر في هذا المجال بما أشاعه الأنبياء الكذّابون من أنباء تفيد بقاء أورشليم صامدة أمام الزّحف البابليّ، وقد لاقت هذه النّبوءات صدى طيّبا في نفوس اليهود.

145 سبط يهوذا هو السبط الّذي ينسب إليه يسوع.

146 الرّؤيا 2 و3 و12/4-11

147 بولس السّادس (البابا): دستور رسوليّ في عقيدة الغفرانات، دار صادر، بيروت لبنان، (د.ت)، ص26

وفي هذا السياق، نفى بطرس أنْ تكون النّبوّة (الرسل/التلاميذ) مسألة ذاتيّة اجتهاديّة، بل هي تقوم على وحي من الرّوح القدس[148]، فالنّبي الحقّ «لا يتّصف بالألوهيّة بأيّة درجة كانت. إنّه إنسان مثل سائر النّاس، وإنّما يزيد على [يهم...] بكون الرّوح القدس تساعده، وبفضل هذه المساعدة[...] يعلم كلّ الأشياء في كلّ الأزمان[...] وهو معصوم من الخطإ، وهو وحده الّذي كُلِّف بمهمّة الهداية إلى طريق الحقّ.»[149]

إنّ نسبة صفة النّبوّة إلى يسوع مدار تساؤل ذلك أنّ النصوص الإنجيلية لم تقدّم دورا واضحا للمسيح ولم تحدّد بدقّة ماهيّته، فهو النّبي والمُعلّم والإله، على أنّ تعدد الأسماء العائدة على المسيح مرتبط بالنّهاية المأسويّة للمسيح، فهي الّتي دعت كُتّاب الأناجيل إلى اعتبار يسوع «ابن الله» وأقنوما مقدّسا من الأقانيم الثّلاثة. أمّا تسميّته بالنّبيّ، فمن شأنها أنْ توطد علاقته بالشّريعة اليهوديّة، فهو المُكمّل للشّريعة المُوسويّة[150]، ذلك أنّه امتداد لموسى وإيليا.[151]

حاولت الأناجيل إعادة صياغة حدث الصّلب، فأبقت اللاّهوت وأقصت النّاسوت، وأوكلت إلى التّلاميذ أمر تعميد الأمم بعد أنْ ملأتهم من «روح الله»، وبذلك منحت الأناجيل «الرّسل» ما سبق أنْ منحته ليسوع من سلطة على المخلوقات وسائر الموجودات، فحلّ «الرّسول» محلّ «ابن الله».

وهو ما دفعنا إلى السّؤال عن السّمات المُشتركة بين يسوع والرُّسل، فيسوع كان يستمدّ قدرته على فعل العجائب من ذاته. أمّا الرّسل، فكانوا يستمدّون ذلك من «روح الله» وباسم يسوع؛ فالرّسول ظلّ رغم ما حظي به من قدرات على مُواجهة السّحرة والأنبياء الكذّابين دون المسيح قدرة وإرادة.

إنّ ما يلفت الانتباه أنّ «العهد الجديد» لم يميّز بين «السّاحر» و«النّبيّ الكذّاب»، بل إنّ النّصوص الإنجيليّة عُنيت بالكشف عن خصائص «النّبيّ الصّادق» وما يُميّزه عن «النّبيّ الكذّاب»[152]، فإذا المقياس هو الإيمان بألوهية يسوع؛ معنى ذلك أنّه لا فضل للنّبيّ الصّادق على النّبيّ الكذّاب في الإتيان بالخوارق، وهو أمر من شأنه أنْ يدفعنا إلى الفصل بين النّبوّة والخوارق والعجائب والمعجزات، فهي من هذا المنظور لا تمثّل حجّة أو آية دالة على صدق النّبيّ.

148 2 بطرس1/ 20

149 بدوي (عبد الرحمان): ملحق موسوعة الفلسفة، (سبق ذكره)، ص230

150 متّى 5/17-20

151 لوقا 9/30

152 أعمال الرسل 19/13-16

إنّ المواقف الإنجيليّة تعود -في تقديرنا- إلى ثلاثة أسباب، هي الرّغبة في تجاوز الطّرح اليهوديّ، وترسيخ البعد الرّوحي (المحبّة) على سائر الأبعاد. أمّا السّبب الأخير، فيتمثّل في تقاطع أمر كلّ من «النّبي الكذّاب» و«النّبي الصّادق».

لقد جعلت هذه الأسباب «العهد الجديد» ينبذ السّحرة ويلعنهم ويطردهم من الملكوت ويُسكنهم جهنّم[153]، ويبدو أنّ الموقف الإنجيليّ المُتشدّد من مُمثلي النّظم المعرفيّة غير الرّسميّة، ما كان ليكون بتلك الحدّة والقوّة لو لم يكن للسّحرة نفوذ يقوّض «أعمال الرّسل».

إنّ بحثنا في خصائص المُؤسّسات المعرفيّة الإنجيليّة ومقارنتها بمثيلاتها في «العهد القديم»، انتهى بنا إلى اعتبار التّقارب بينها ظلّ ضعيف الأسباب، فلئن لم تمثّل المُؤسّسات الإنجيليّة خروجا كليّا عن السّائد في المجتمع اليهوديّ، فإنّها كثيرا ما عمدت إلى إعادة توزيع الأدوار، فإذا بالمُؤسّسات الإنجيليّة تقع على خطّ التّماس بين الالتزام بالقديم والخروج عنه.

153 الرّؤيا 8/21 و15/22

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2021

جميع الحقوق محفوظة © 2021